الحصاد

AL-HASAD Issue No: 171 / Dec. 2025 | العدد ١٧١ / كانون(١) ٢٠٢٥ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

مرهونة بوسطاء محايدين ومخلصين

سيناريوهات مفخخة بانتظار السودان

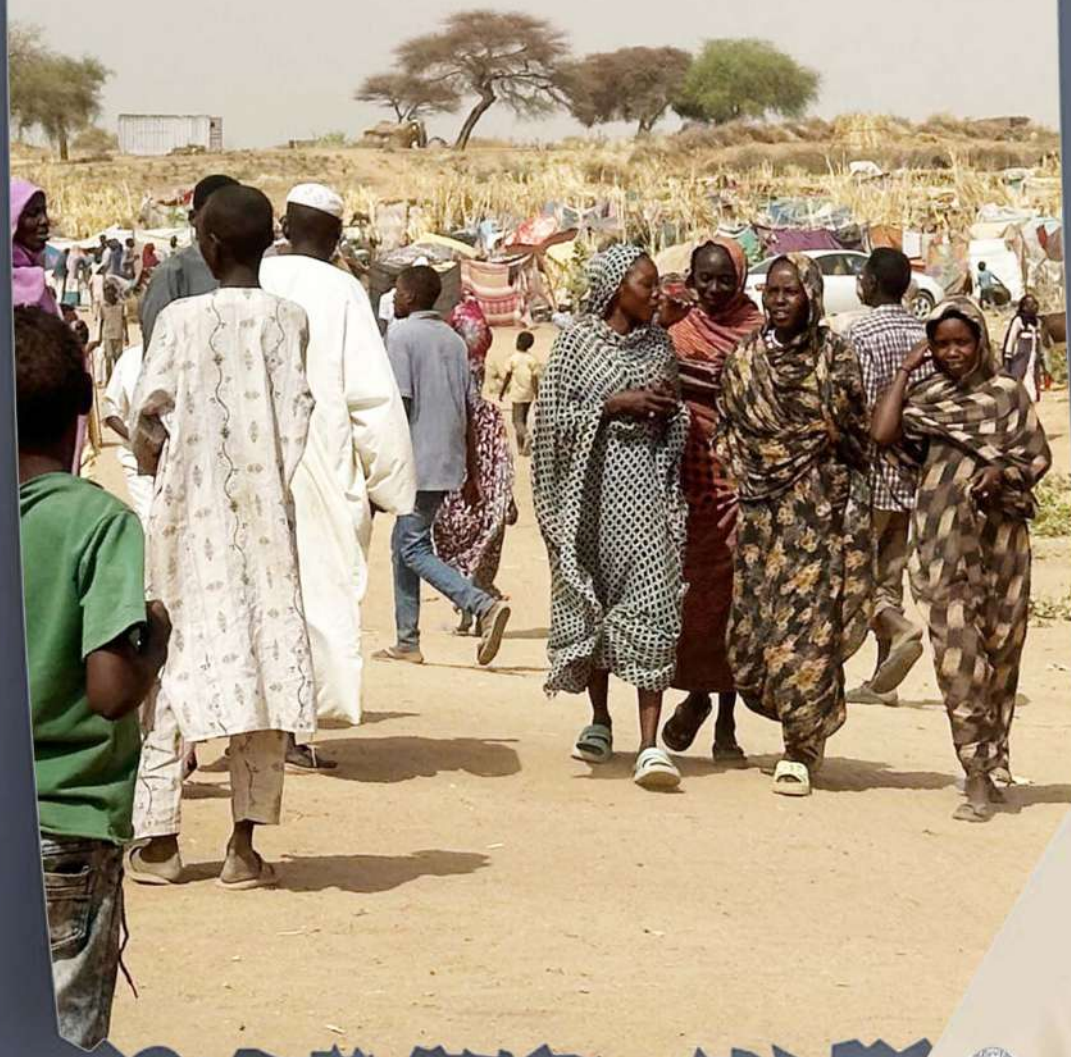

الحصاد

AL-HASAD Issue No: 171 - December 2025 العدد ١٧١. كانون الأول ٢٠٢٥.

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:
إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:
د. مازن الرمضاني
أمين الغفاري

المدير الفني:
حسين حمّود

ثمن النسخة :
٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :
٣٠ جنيهاً سترلينياً

لإعلاناتكم على صفحات « الحصاد »

E-mail: hussein@hhammoud.com

"Al-Hasad" Head Office:

Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

في هذا العدد ص

موضوع الغلاف ٤
سيناريوهات مفخخة بانتظار السودان

مستقبلات ٢٢
التخطيط الاستراتيجي وتطويع المستقبل وصناعته

قضايا أدبية ٢٦
الشاعرة الإيرانيّة بروين اعتصامي... سيّدة عصرها

مناسبات ٣٨
افتتاح اضخم متحف اثري لحضارة واحدة في مصر

إضاءات فنية ٤٢
فائق حميصي... وحيداً بالإيماء

كلمة «الحصاد»

فرّق تسد

كلما حاولت أن أتطلّع إلى نواحٍ غير السياسة، كأن أثمّنُ الحوار مع الكاتبة والروائيّة السعودية (زينب الحضيري)، أو أُشيدُ بسيرة الشاعرة الإيرانية (بروين إعتصامي)، كما أذكّرُ بشاعر روسيا (سيرغي يسنين) مع التقدير للإعلاميات، رنا خير الدين ونسرين الرجب وفاطمة الخضرا لجهودهن في إبراز عناصر الأدب والقوة الإنسانية في العالم، ولا أنسى تقدير وتثمين أعمال كل الكتاب المحترمين في مجلة (الحصاد)، إلّا أنّ الجانب السياسي يجرُني اليه حيث لا أستطيع إلّا الخوض فيه .

منذ أن عرفنا الإستعمار، نعرف أنّ أهم أدواته ودستوره الأبديّ (فرّق تسد)، شعار تسلطت بها الدولُ الغازية على الشعوب التي تحتلها لتشغلها فيما بينها بخلافات وحروب لا جدوى منها سوى تمكين المحتل من مقدرات هذه الشعوب واستنزاف خيراتها لمصالحها مع رمي بعض الفتات لمن ينفذون أوامرها، والأمثلة كثيرة عشناها في بلادنا وحول العالم شرقه وغربه.

استفادت الصهيونية العالمية من ذلك لتحتل قلب الأمة العربية (فلسطين) بعد أن مكّن الجيش البريطاني عصابات الصهاينة لترتكب مجازر كثيرة بحق الفلسطينيين حتى اضطرتهم للهجرة أو الموت في ديارهم، كل ذلك لم يكن معروفاً للكثير من شعوب العالم لأن الآلة الإعلامية الصهيونية والغرب بأكثريته كانت تنشرُ مظلومية اليهود على يد (النازية الألمانية) ولتكون الضحية الأكبر شعب وأرض فلسطين والأرض العربية بمجملها إن تحقق حلمُ (إسرائيل الكبرى) .

إدّعى الصهاينة أنّ كل من رفض الاحتلال اليهودي الإسرائيلي لأرض فلسطين، هو (ضدّ السّامية) وأصبحت هذه الجملة سبّةً وجريمة يحاسبُ عليها كل مواطن يقاوم الاحتلال ويسعى لتحرير ارضه والاحتفاظ بكرامة أمته، وبعد خمس وسبعين سنةً يثور بعض شباب فلسطين وغزة بالذات ليعلنوا عنْ طوفان الأقصى، وتقوم الدنيا ولا تقعد (قصفٌ وقتلٌ للمدنيين بالذات، الأطفال، كي لا يكبروا وتهديم لكل البنى التحتية، كي لا يبقى أملٌ للحياة على هذه الأرض، الّا أنّ الأمر لم يعد سراً فهذه وسائل التواصل الاجتماعي تنشر بالصورة والصوت والفعل ما يحصل على الارض، لتقف حكومة وجيش اسرائيل في قفص الاتهام الدولي، وما زال الكثير مما يجب عمله لنيل الحرية ، وكلمة إجلالٍ للشهداء والصامدين على جمر أرض فلسطين .

في خضم ذلك تتحرك الأرض تحت أقدام الصهاينة في أكبر مدينة يسيطرون عليها (نيويورك - أمريكا) ليُنتخب (زهران ممداني) رئيساً لبلدية نيويورك، رجلٌ مسلم حنطيّ اللون يُجرّم المجزرة التي يقوم بها نتنياهو وحلفاؤه ضد الشعب الفلسطيني، ونرى الفزع ظاهراً في (يسرائيل هيوم)، حيث يقول (ينسيم كاتس): هناك خطر وجود حقيقي في انتخاب (زهران ممداني) لرئاسة بلدية نيويورك، وهذا الخطر لا يكمن فقط في عدائه الشخصي لإسرائيل بل للنموذج السياسي المتقن الذي صاغه (الذي يهدف إلى تحييد وتفكيك القوة المجتمعية اليهودية) فقد استند إلى حائط يهودي بدعمٍ من منظمة (صوت يهودي من أجل السلام JVP ، وهكذا يتحولُ أي نقد لمواقفه إلى معنى الهجوم على يهود آخرين) ولا يمكن اتهامه بأنه ضد السامية!

فهل سينقلب السحر على الساحر؟ ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وإن كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:
www.alhasad.co.uk

مرهونة بوسطاء محايدين ومخلصين

سيناريوهات مفخخة بانتظار السودان

القاهرة: صفاء عزب*

«من يسيطر على السودان يتمتع بنفوذ في المنطقة الأوسع، في القرن الأفريقي، وكذلك في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى». تصريح للدبلوماسي الأمريكي المتقاعد تشارلز راي، رئيس برنامج أفريقيا في معهد أبحاث السياسة الخارجية، يفسر لنا مبررات الصراع المحموم بين القوى السياسية الداخلية المختلفة والمتقاتلة للسيطرة وبسط النفوذ على الأوضاع في السودان، كما يكشف عن الأسباب الكامنة وراء مواقف بعض الأطراف الخارجية التي وجهت بعض التقارير الأممية التهم لها بلعب دور مؤثر وموجه للأحداث بشكل أدى إلى العبث بأمن السودان، و تهديد وحدة أراضيه. ويرى مراقبون أن الأطراف التي تتعاطى مع الأزمة السودانية كوسطاء، تفتقد إلى الحيادية في مواقفها من صراع الجنرالات الذي ضاع ضحيته أكثر من 150 ألف سوداني وخلف أكثر من 12 مليون نازح وفق مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين والتي أكدت أن أزمة السودان سبب حدوث أكبر حالة نزوح في العالم.

في ليلة التاسع عشر من ديسمبر 2018 انطلقت مظاهرات السودانين من ولاية عطبرة ضد الرئيس عمر البشير للتنديد بالأوضاع الاقتصادية، وتحقق حلمهم في الحرية بثورتهم على نظامه الجاثم على صدورهم لعقود طويلة، ونجحوا في إسقاطه. ومع تحقق أول حلم انبثقت عناقيد أخرى من الأحلام والآمال العريضة التي لا تخرج عن إطار الحقوق الطبيعية لأي شعب في العالم، ولكن الأحلام سرعان ما تحولت إلى كوابيس مرعبة خلفت كوارث على السودانيين منذ استيقظوا يوم الخامس عشر من إبريل 2023 على حرب شعواء بين أفراد الجيش السوداني وقوات الدعم السريع اللذين تبادلا الاتهامات عن مسؤولية البدء في القتال وإشعال الأوضاع إلى ما وصلت إليه الآن.

العدوان اللدودان؛ قوات الجيش بقيادة عبد الفتاح البرهان، وقوات الدعم السريع بقيادة محمد حمدان دقلو الشهير بحميدتي كانا في السابق صديقين متحالفين على حساب أحلام الشعب السوداني وثورته، حيث كان الثاني نائبا للأول، وبدا هذا التحالف واضحا في تعاطيهما مع مواقف مختلفة مارسا فيها عنفا شديدا ضد السودانيين المدنيين ودخلوا في صدام معهم.

بعد فترة قصيرة من ثورة السودانيين على نظام البشير، وتحديدا في إبريل عام 2019تولى عبد الفتاح البرهان رئاسة المجلس العسكري المؤقت لإدارة شؤون البلاد، لتبدأ بعدها مرحلة جديدة من الصراعات بين الشعب السوداني من جانب والمجلس العسكري من جانب آخر.

بعدها وفي نفس الشهر، ظهر أول خلاف حول من يفاوض ومن يمثل قوى الحرية والتغيير. وفي شهر مايو 2019 رفض المتظاهرون طلب المجلس العسكري بإجراء انتخابات مبكرة خوفا من أن تؤدي إلى عودة فلول النظام البائد في ظل عجز القوى الثورية على تنظيم نفسها استعدادا للمرحلة الجديدة. وارتفعت وتيرة الخلافات حتى وصلت إلى مستوى الصدام بعد التهديد بعصيان مدني اعتراضا على ما وصفوه بأنه محاولة من المجلس العسكري لتعطيل تسليم السلطة لحكومة مدنية. وفي تلك الأثناء حدثت سابقة خطيرة أطلق عليها مذبحة القيادة العامة وذلك في يونيو 2019، وهي الحادثة التي اتفق فيها كل من قوات الجيش السوداني وقوات الدعم السريع على شن هجوم عنيف ضد المعتصمين السودانيين أمام مقر القيادة العامة، سقط فيها 150 قتيلا، كما ذكرت تقارير إعلامية عن إلقاء جثة خمسين سوداني وقتها في نهر النيل.

واستحكم الخلاف حتى دخلت البلاد في حالة عصيان مدني، مما دفع بعض الوسطاء للتدخل وتقريب وجهات النظر بين أطراف الخلاف للحيلولة دون دخول السودان في نفق مظلم. كان من ضمن الوسطاء رئيس الوزراء الإثيوبي أبي أحمد، بجانب الجهود الدبلوماسية للإتحاد الأفريقي، والتي أسفرت عن وثيقة تقسيم السلطة وتقاسم الحكم.

وكان من المفترض بموجب هذه الوثيقة أن تكون هناك فترة انتقالية مدتها 39 شهرا، وتشكيل مجلس سيادة من 11 عضوا (5 مدنيين يختارهم الحرية والتغيير، و5 عسكريين يختارهم المجلس العسكري، وعضو مدني يتم اختياره بالتوافق بين الطرفين)، على أن يرأس مجلس السيادة في أول 21 شهرا شخص عسكري. وعلى الرغم من المضي قدما في بعض الإجراءات إلا أن الخلافات ظلت مستمرة لرفض الطرف العسكري مطالبات شعبية بالتحقيق في الأحداث التي راح ضحيتها مئات المدنيين. واشتعل الخلاف بشكل أكبر بعد أن كشف مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي عن لقائه بالبرهان في أوغندا للاتفاق بشأن تطبيع العلاقات، وهو الأمر الذي عمق مشاعر عدم الثقة في الطرف العسكري، سيما بعد أن أعلن الرئيس ترامب في أكتوبر 2020 عن التطبيع الرسمي بين إسرائيل والسودان.

بعدها ظهرت الانشقاقات في صفوف التجمعات الشعبية الثورية بسبب انقسامها بين مؤيد ومعارض للحكومة. وفي أكتوبر 2021 وقع خلاف آخر بين رئيس الحكومة عبد الله حمدوك من جانب، وبين البرهان ونائبه حميدتي من جانب آخر لرفض الأول حل الحكومة وتعيين حكومة بديلة. وكانت النتيجة موجة اعتقالات كبيرة في نفس الشهر شملت رئيس الحكومة ومعظم الوزراء وقيادات سياسية ورؤساء أحزاب، إلى جانب السيطرة على مبنى الإذاعة والتلفزيون. وقام الجيش باختطاف حمدوك، وقرر قائده البرهان حل المجلس السيادي وإعلان حالة الطوارئ في السودان، وتعليق العمل ببعض بنود الوثيقة الدستورية.

وقد حاول البرهان بث الطمأنينة لدى السودانيين بالتأكيد على التزامه باتفاق جوبا للسلام الموقع مع حركات مسلحة عام 2020 مع تشكيل حكومة مستقلة تحكم البلاد حتى موعد الانتخابات الذي كان مقررا في يوليو 2023.

كان من الطبيعي أن تؤدي هذه الإجراءات إلى مزيد من اشتعال الوضع في السودان خاصة في صفوف القوى الثورية التي رأت فيها انقلابا على الثورة وسطوا على مكتسباتها. ولم تنجح محاولات البرهان في امتصاص غضب الشارع السوداني بإعادة حمدوك من الإقامة الجبرية، التي فرضت عليه بعد اختطافه، لتولي منصبه من جديد. استمر غضب السودانيين مما دفع حمدوك لتقديم استقالته في يناير 2022 وذلك بعد أحداث مؤسفة خلال الاحتجاجات أسفرت عن سقوط قتلى.

من التحالف للعداء .. وبوادر حرب أهلية

في تلك الأثناء تدهورت الأوضاع الأمنية بسبب حالة الفراغ الأمني في البلاد، إلى جانب تدهور الأوضاع الإنسانية، بسبب نقص الغذاء والمستلزمات الطبية في أزمة خطيرة. وظهرت بوادر حرب أهلية من خلال اقتتال قبلي في بعض المناطق بولاية النيل الأزرق بجنوب السودان أودى بحياة المئات.

على الرغم من اشتراك كل من البرهان ونائبه حميدتي أو الرجل الثاني كما يوصف، في توقيع اتفاق مع قادة مدنيين في ديسمبر 2022 لإنهاء الأزمة في البلاد والتمهيد لتشكيل سلطة مدنية »

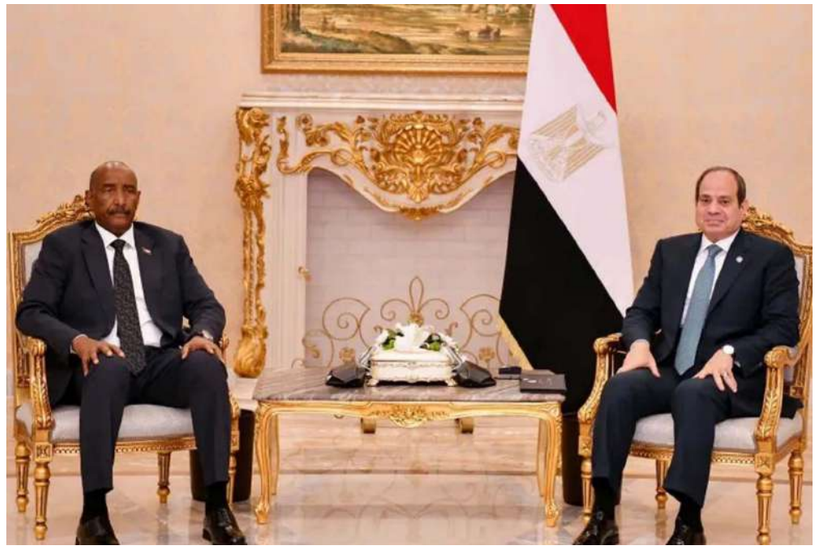

انتقالية، في حضور المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى السودان فولكر بيرتس ومحمد بلعيش سفير الاتحاد الأفريقي لدى الخرطوم، إلا أن الأوضاع لم تهدأ وسرعان ما انفجرت في تصعيد خطير في شهر إبريل 2023 ليستيقظ السودانيون على أصوات طلقات رصاص ودوي انفجارات في العاصمة، بعد انتشار قوات الدعم السريع التابعة لحميدتي في أنحاء الخرطوم وإعلانها السيطرة على مطار الخرطوم والقصر الجمهوري ليتحول الحليفان العسكريان البرهان وحميدتي إلى عدوين لدودين يتبادلان الاتهامات حول مهاجمة معسكراتهما. بعد أن كانت قوات الدعم السريع مجرد فصيل عسكري تابع للجيش السوداني، تحول إلى جبهة شرسة للمواجهة والقتال ضد الجيش، لتتحول الأراضي السودانية كلها إلى ساحات للمعارك الدموية والمذابح البشعة التي طالت المدنيين الأبرياء، وكان آخرها مذابح الفاشر في دارفور، وكذلك في كوردفان، وهي المذابح التي يخشى مراقبون ألا تكون الأخيرة من نوعها بسبب تجدد العنف والاقتتال بين أطراف الصراع بشكل أحدث حالة غير مسبوقة من الفوضى الأمنية وضياع ملامح الدولة بمعناها المؤسسي بعد انهيار كل المؤسسات وتوقف كل الأنشطة الحياتية ووصول الأوضاع لحالة الشلل التام، التي دفعت بالسودانيين إلى النزوح هربا من ويلات الحرب.

فراغ أمني وجرائم وحشية

على الرغم من الجهود الدولية للوساطة لحل الأزمة ورأب الصدع بين الأطراف السودانية المتقاتلة ونزع فتيل الحرب، إلا أنها عجزت عن فرض حالة أمنية مطمئنة لعودة السودان كما كان والسودانيين لحياتهم الطبيعية. وكيف يحدث ذلك بينما توجد فرق تصارع بعضها البعض على قطعة من أرض الوطن لانتزاعها والهروب بها لبناء مجد شخصي عليها والاستئثار بها وبخيراتها في ظل تكوين حكومة موازية بزعم تسيير الأمور والقيام على خدمة السودانيين!

ما حدث أنه بعد أيام قليلة من إعلان هذه الحكومة الوهمية عن تشكيل أعضائها، أن وقعت مجازر الفاشر، وغيرها من مناطق دارفور، وازدادت حدة المواجهات بين المسلحين والمدنيين العزل من سكان هذه المناطق.

في ظل هذه الأوضاع المتردية يثور التساؤل: إلى أين يسير السودان؟

إن السودان بلد عربي زاخر بالموارد والكنوز الطبيعية، كما يتمتع بمزايا استراتيجية تتعلق بموقعه الجغرافي، مما يزيد المخاوف من الأطماع الخارجية فيه واستغلال حالة الحرب، بل وتكريسها، لخدمة مصالح بعض الأطراف الذين يخططون للاستفادة من عدم استقرار السودان، ومن ثم تفشل الهدن هدنة وراء أخرى ويتجدد القتال كلما خبت ناره، بسبب من ينفخون فيها من الخارج ويمدون أطرافه بالسلاح بشكل أدى إلى اتساع أمد الحرب ونطاقها.

سيناريوهات مفخخة!

ويثور التساؤل الملح: متى تنتهي الحرب في السودان؟ وعلى أي حال ستنتهي؟ وكيف سيكون المستقبل؟

هناك 3 سيناريوهات محتملة أولها نجاح الهدنة بين الأطراف المتقاتلة والجلوس على مائدة المفاوضات برعاية دولية وأممية لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأرواح السودانية التي تباد كل يوم. وثانيها استمرار حالة الصراع المفتوحة وبقاء الوضع على ما هو عليه من التشرذم والتفتت والانقسام في ظل سعي كل فصيل للسيطرة على جزء من الأرض وبسط نفوذه عليها. وثالثها حسم الحرب لصالح أحد الأطراف المتصارعة بتحقيق انتصارات على أرض المعركة والسيطرة بالقوة على كل السودان.

المثير في الأمر أن السيناريوهات الثلاثة كلها مفخخة لا تخلو من توابع مقلقة لما يمكن أن تسفر عنه من أزمات تنزع عن السودانيين حالة الهدوء والاستقرار المأمول. ففي ظل السيناريو الثاني تتعرض وحدة البلاد للخطر الذي يهددها بالانقسام إلى كيانين مختلفين ومتصارعين على النفوذ والموارد والثروات وهو الوضع الذي بدت ملامحه بمقدمات تمثلت في إعلان زعيم قوات الدعم السريع عن تشكيله لما أسماه بالحكومة الموازية، وهو وضع خطير ثبتت كارثيته بما شهدناه من أحداث في الفاشر وغيرها، واستمراره يعني القضاء على السودان الموحد وإضعافه، واستنساخ نسخة جديدة من النموذج الليبي الذي أعجز المجتمع الدولي عن معالجته بما يعني انتفاء الاستقرار والأمن في البلاد. وفي ظل السيناريو الثالث فإن خيار حسم الحرب لصالح أحد الأطراف محفوف بالمخاطر على المدى المتوسط والطويل خاصة إذا لم تكن هناك حالة توافق وطني حول السلطة المسيطرة وملامح النظام السياسي الذي سيصبح مفروضا بموجب سياسة الأمر الواقع، ومن ثم العودة لما كان عليه الحال قبل الثورة السودانية بكل ما فيه من أزمات سياسية واجتماعية.

لم يبق سوى السيناريو الأول الذي يحمل توقعات بالهدنة ووقف القتال وإعادة بناء ما دمرته الحرب تمهيدا للعودة للحياة الطبيعية. وهو أكثر السيناريوهات المستقبلية تفاؤلا وأفضلية للحفاظ على وحدة السودان وأرواح شعبه. لكن هذا السيناريو مفخخ أيضا ومحفوف بالمخاطر التي يحمل بذورها، حيث يرتبط تنفيذ هذا السيناريو بدور فعال ومخلص للقوى الدولية والإقليمية للضغط على كل الأطراف لوقف القتال، وهو الأمر غير المضمون في ظل وجود تدخلات من بعض الأطراف الخارجية وتحيزها لطرف على حساب طرف من أطراف القتال، بل وإمداده بالسلاح مقابل تحقيق مصالحها. كما أن هذا السيناريو يتطلب تسوية معقدة مرتبطة بتحقيق دمج وإصلاحات لكافة مؤسسات الدولة وعلى رأسها المؤسسات الأمنية والعسكرية لاستعادة الدولة لهيبتها وسيطرتها، وهو أمر قد يصطدم بالإرادة السياسية والشعبية لبعض الأطراف التي ترفض الهدنة وتفضل القتال للقضاء تماما على خصمها في المعركة.

وعليه فإن الوضع السودان مرهون بحسابات المصالح الخاصة بالأطراف الإقليمية والدولية، ولكن تبقى إرادة الشعب السوداني هي الأقوى في التأثير والقدرة على رسم المستقبل إذا ما اتحد كل السودانيين وتخلوا عن المطالب الشخصية والفئوية وتحركوا في إطار من الوعي بخطورة الوضع على وحدة بلادهم والالتفاف على محاولات التقسيم ودحضها من خلال بث روح التحاور والتفاوض بدلا من لغة العنف والصراع. ■

* كاتبة وصحافية

هل تكون معركة بيت جن في سورية مشابهة لمعركة الكرامة في اغوار الاردن

معن بشور*

فيما كنت اتابع، مثل كثيرين، من أبناء أمتنا العربية والاسلامية وقائع معركة بيت جن في الارض السورية بين رجال المقاومة الاسلامية وجيش الاحتلال الصهيوني لم تغب عن بالي ذكريات معركة الكرامة في اغوار الاردن في 22 اذار عام 1968 التي يعتبرها كثيرون الرد العربي الاول على نكسة حزيران 1967، والميلاد الثاني للثورة الفلسطينية المعاصرة التي اطلقت قوات العاصفة في حركة فتح رصاصاتها الاولى في 1/1/1965

طبعا لا يمكن مقارنة النتائج الميدانية لمعركة الكرامة بمعركة بيت جن ، لكن اوجه الشبه بينهما كبيرة، لا سيما لجهة ان الأخيرة التي جرت بالامس قد جاءت، كما الاولى، في زمن كان كثيرون يعتقدون ان المقاومة ، رغم ما تبديه من بطولات في غزة وعموم فلسطين قد دخلت مرحلة الافول، فإذا بتلك المعركة تدفع قائداً كبيراً كـ جمال عبد الناصر يقول «ان المقاومة الفلسطينية وجدت لتبقى وسوف تبقى».

لقد أعادت معركة بيت جن من جديد الثقة لأمتها سواء في سورية او فلسطين حين ظن كثيرون ان ما ساد المنطقة من أجواء الانهزام والخذلان على مستوى الخطاب والاداء الرسمي العربي والاسلامي.

لقد اكد أهالي بيت جن ومقاوموها البواسل ان سورية تبقى رغم كل ما عانته من ويلات، كما عهدناها دوماً قلب العروبة النابض، بل ارض المقاومة الاصيلة والمستمرة التي لا تتخلى عن رسالتها رغم كل ما يصيبها من الام واوجاع ، وكما تحولت المقاومة الفلسطينية الى حقيقة مدوية في العالم اليوم ، رغم كل ما واجهته من ضربات، وكما نجحت المقاومة الوطنية والاسلامية في لبنان الى حقيقة كبرى لا يمكن تجاوزها ، فدروس التاريخ تؤكد لنا ان المقاومة السورية للاحتلال الصهيوني ستتجاوز كل ما ستواجهه من تحديا ، خصوصاً ان تاريخها منذ قرن وأكثر مرصّع بثورات قادها كبار من كل ارجاء سورية كسلطان باشا الاطرش وعبد الرحمن الشهبندر وإبراهيم هنانو وصالح العلي وسعيد العاص وجول جمال.. وكثيرون غيرهم.

وعلى الصهاينة، ومن يتواطئ معهم، من انظمة قريبة او بعيدة، ان يدركوا ان سورية التي هزمت دويلات التقسيم الطائفية والمذهبية التي حاول الاستعمار ان يقيمها قبل مئة عام على حساب الوطن السوري الموحد، وهزمت الاستعمار نفسه بعد ربع قرن على وضع يده على سورية ، قادرة اليوم بشعبها وقواها الوطنية الحيّة ان تهزم كل من يتربص بها شراً.. خصوصاً اذا تمسك كل السوريين بوحدة وطنهم بعيداً عن كل احتراب طائفي او مذهبي او عرقي او فئوي، ما ابتعد عنه بلد الاّ واعتز وما تورط به مجتمع الا وتمزق واهتز.

□■□

ميشيل ادة والاستقلال

■ قد لا يصدق الكثيرون ان اسم شخصية لبنانية مسيحية ك ميشيل ادة هي من أكثر الأسماء غير الفلسطينية التي ترد في بالي وانا اتابع ما نراه من بطولات في "ملحمة طوفان الاقصى" على أرض غزة، وعموم فلسطين، بقدر ما يترابط كلامه في ذهني مع ما كنت اسمعه من الرجل الكبير من إعجاب بالشعب الفلسطيني خصوصاً، يوم وافق بحماس ان يتم انتخابه نائباً لرئيس مجلس أمناء مؤسسة القدس الدولية ، وهو الموقع الذي احتله بعده لبناني آخر يدرك قدسية النضال من اجل القدس هو النائب والوزير اللبناني السابق بشارة مرهج، بل اتذكر ما كان يحدثني به الراحل ميشيل ادة عن توقعاته بانقلاب المزاج الشعبي الاميركي وحتى اليهودي في الولايات المتحدة ضد ممارسات عرقية ووحشية صهيونية في غزة وعموم فلسطين .

كان الوزير السابق ميشيل اده الذي نحيي هذه الايام ذكرى رحيله قبل سبع سنوات، والذي كان مدركاً منذ النكبة عام 1948 ان مصير لبنان مرتبط بمصير فلسطين، وان لبنان هو الدولة الأولى التي يستهدف العدو ابتلاعها في ضوء المشروع الصهيوني في قيام اسرائيل الكبرى. وكثيرا ما كان يحدثني عن المصرفي اللبناني الكبير الراحل ميشيل شيحا الذي تحدث عن مخاطر هذا الكيان على لبنان، لا من موقع عقائدي اوفكري او سياسي او ديني او قومي ، بل من موقع الإدراك العميق لطبيعة الكيان الصهيوني التوسعي ، والذي جدّد الإعلان عنها مؤخراً مجرم الحرب نتنياهو في حديثه عن "إسرائيل الكبرى".

اتذكر اليوم العقل اللبناني والعربي والانساني الكبير الذي كان يحمله ميشيل ادة والذي يكشف عن صحة رؤية «الميشالين» شيحا وادة، ولكن قد لا اشارك شيحا بعض افكاره رغم أعجابي الشديد عجابي الشديد والمبكر بتحذيراته من مخاطر المشروع الصهيوني، بل اعتبر نفسي ان افكارميشيل ادة أقرب لافكاري وافكار الكثيرين من أبناء المدرسة الوطنية والقومية المتمسكة بفلسطين كلها، وعاصمتها القدس الشريف ،

وكان ادة في طليعة الساعين الى تحقيق هذه الافكار.

بعد سبع سنوات على رحيله ما زال ميشيل ادة بيننا بفكره ووطنيته وبحبه للقدس الذي كان تعبيراً عن حبه للبنان الرسالة والانسان في كل مكان.

ميشيل ادة لم يكن مجرد سياسي، بل كان مفكرا مؤهلاً ليعتلي سدة رئاسة جمهورية لبنان اكثر من مرة، لولا موقفه الرافض للمشروع الصهيوني، بل هو فكرة وموقف من تبناهما بقي خالداً في ضمير شعبه وامته ، ومن تخلى عنهما بات منسياً وهامشياً في ذاكرة شعبه وامته.

□■□

عن العدوان الصهيوني على قلب لبنان

■ لم يكذب الصهاينة الخبر بل وسعوا من عنوانهم ليصل الى حارة حريك في قلب لبنان في الضاحية الجنوبية وعلى ضفاف العاصمة بيروت في تأكيد ان لا حدود للشر الصهيوني لا في فلسطين ولا في لبنان ولا في سورية ولا حتى اليمن وقطر وايران نفسها. كما يأتي هذا الاستهداف لحارة حريك ليؤكد استهتار تل ابيب بكل اتفاق او تفاهم ايا كان رعاته او المشرفين عليه.

واذا كانت الدولة اللبنانية بكل اركانها مدعوة للتعامل بطريقة مختلفة مع هذا العدوان الوحشي كما مع العدوان اليومي الذي يتعرض له لبنان جنوبا وبقاعا وضاحية... وان تعلن تعبئة وطنية شاملة تتجاوز فيها الأطراف اللبنانية كل الخلافات بينها لتأخذ موقفا واحد من العدوان وإغلاق كل ثغرة داخلية في العلاقة بين المكونات اللبنانية كافة لأن ما من قوة أقوى من لبنان الموحد. كما المطلوب من الحكومات العربية والاسلامية ان تتحمل مسؤوليتها في حماية الشعبين اللبناني والفلسطيني من الإجرام الصهيوني والدعم الاميركي والغربي. اما حكومات الغرب الاستعماري فمدعوة لتحمل مسؤولياتها لحماية الشعبين اللبناني والفلسطيني واتخاذ المواقف الحاسمة من النوايا العدوانية الصهيونية.

ان قوى التحرر والسلام الشعبية العربية والدولية في المنطقة والعالم مدعوة الى تصعيد تحركها المستمر ضد العدوان والحصار لردع تل ابيب ومن وراءها عن الاستمرار في عدوان غير مسبوق ضد فلسطين ولبنان وكل اقطار أمتنا.

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

الصحراء المغربية

تحوّلات أسكتت روسيا والصين ومرّرت القرار التاريخي في مجلس الأمن

بعد 50 عاما.. العالم يعترف بمغربية الصحراء

لندن: محمد قواص*

يكاد المغرب يقفل ملفا بقي ساخنا طوال نصف قرن. خمسة عقود من الجهد الدبلوماسي الدؤوب قاد دول العالم، لاسيما الدول الخمس الكبرى صاحبة حقّ الفيتو في مجلس الأمن الدولي، إلى وضع اللبنات القانونية الأولى لحلّ أزمة الصحراء الغربية التي لم تسمّم علاقة المغرب والجزائر فقط، بل كانت وراء تعطيل كثير من المشروعات الطموحة في شمال أفريقيا، من بينهم إقامة «اتحاد المغرب العربي». وكان على المغرب انتظار كثير من التحوّلات الإقليمية والدولية التي نشهدها خلال السنوات الأخيرة، لكي تنضج داخل العواصم المعنيّة كما لدى عواصم القرار الكبرى خيارات جديدة لم تكن واردة قبل ذلك.

فما الذي مهّد لصدور قرار أممي يعتبر أن التفاوض على الحلّ النهائي لصراع الصحراء يستند على اقتراح المغرب إقامة حكم ذاتي هناك تحت سيادة المملكة المغربية؟

بشائر واشنطن

في 19 تشرين الأول (اكتوبر) 2025، أعلن ستيف ويتكوف، المبعوث الخاص للرئيس الأمريكي دونالد ترامب لمهام السلام في الشرق الأوسط في مقابلة تلفزيونية أجرتها شبكة CBS News ضمن برنامج (Minutes 60)، أن الولايات المتحدة تعمل حالياً على وساطة لإبرام اتفاق سلام بين المغرب والجزائر. قال: "نحن نعمل على ملف المغرب والجزائر الآن. فريقنا يركّز عليه، وسيكون هناك اتفاق سلام في الـ60 يوماً القادمة، في رأيي". حينها لم يفصح ويتكوف عن تفاصيل محددة حول شكل الاتفاق أو كيفية التعامل مع النزاع الرئيسي حول الصحراء الغربية، لكنه أشار إلى أن النجاح في اتفاقات أخرى (مثل وقف إطلاق النار في غزة) يشجع على "عدوى السلام".

قبل ذلك التصريح اللافت الذي فاجأ المراقبين لشؤون شمال أفريقيا والصراع بين المغرب والجزائر، خرج تصريح أميركي أكثر إثارة للاهتمام. ففي 17 من الشهر نفسه، أكد مسعد بولس، مستشار ترامب للشؤون الأفريقية (ووالد زوج ابنته)، في مقابلة مع قناة الشرق نيوز السعودية، أن الجزائر ترغب في «حل أساسي ونهائي» لنزاع الصحراء الغربية. أضاف، وهنا كان بيت القصيد، أنه التقى الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون مؤخراً، ووجده «منفتحاً على إعادة بناء جسور الثقة مع الشعب المغربي والملك والحكومة». ثم وصف بولس خطاب الملك محمد السادس الذي ألقاه في 9 من ذلك الشهر بأنه "تاريخي"، مشيراً إلى أن الملك يسعى لحل يرضي جميع الأطراف.

أتت تلك التصريحات وكأنها تمهيد يبشّر بأجواء اجتماع مجلس الأمن الدولي لتجديد تفويض بعثة مينورسو (القوات الأممية في الصحراء الغربية) في نهاية تشرين الأول (أكتوبر) 2025. وقد اقترحت الولايات المتحدة مشروع قرار يحدد موعداً نهائياً حتى 31 يناير 2026 للتوصل إلى حل مقبول من جميع الأطراف.

المغرب ـ الجزائر: خلاف منذ عقود

يعود خلاف المغرب والجزائر التاريخي إلى «حرب الرمال» التي نشبت على الحدود بين البلدين بعد عام على نيل الجزائر استقلالها عام 1962.ثم تفاقم خلاف البلدين في الموقف من قضية الصحراء الغربية التي انفجرت عام 1975. المغرب يعتبر الصحراء مغربية وجزءا من أراضي المملكة وسيادة البلاد، فيما تدعم الجزائر حق تقرير المصير وتؤيد مسعى جبهة البوليساريو للاستقلال. لكن الأمر تفاقم في عام 1994 حين أغلقت الحدود البرية بين البلدين بعد هجمات إرهابية في مراكش، وبات أكثر حدّة في آب (أغسطس) 2021 حين قطعت الجزائر العلاقات الدبلوماسية مع المغرب، متهمة الرباط بارتكاب "أعمال عدائية" (مثل دعم حركات انفصالية في الجزائر). عرض الملك محمد السادس مراراً "مدّ يد السلام"، لكن الجزائر رفضت دائما عروض المغرب متمسكة بسياسة قطيعة، شددت عليها حتى بعد التغيير الذي أدى إلى انتخاب عبد المجيد تبون رئيسا للجمهورية عام 2019ثم عام 2024.

ويعتقد مراقبون أن العداء للمغرب بات من أبجديات النظام السياسي الجزائري منذ الاستقلال، وأن محاولات رأب الصدع باءت بالفشل، بما فيها تلك التي بشّر بها الرئيس الجزائري محمد بوضياف الذي كان يقيم قبل ذلك في المغرب واغتيل في الجزائر عام 1992.

وقد تفاقم خلاف الجزائر مع المغرب في ولاية الرئيس الأميركي دونالد ترامب الأولى حين انضم المغرب إلى الاتفاقات الإبراهيمية مع إسرائيل عام 2020، ما اعتبرته الجزائر "مؤامرة مغربية إسرائيلية ضدها. وزاد من توتّر الجزائر اعتراف الولايات المتحدة، مقابل انضمام المغرب إلى الاتفاقات، بمغربية الصحراء وسيادة المغرب عليها.

عامل ترامب

تمكنّت الدبلوماسية المغربية من تحقيق اختراقات دولية من خلال موافقة دول أساسية على خطة المغرب لمنح الحكم الذاتي للصحراء تحت السيادة المغربية، مع الاحتفاظ بالشؤون الخارجية والدفاع. حظيت هذه الخطة بدعم دولي متزايد، بما في ذلك الولايات المتحدة، فرنسا، بريطانيا، اسبانيا، ألمانيا وعدة دول أفريقية وعربية فتح بعضها قنصليات في مدينة العيون في الصحراء. حتى أن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون غيّر بوصلة فرنسا حيال الموقف من الصحراء باتجاه خيار المغرب بعيدا من الجزائر.

وترى مصادر أميركية أن ما كشفه ويتكوف يأتي في سياق جهود الوساطة الأمريكية في نزاعات دولية أخرى، مثل الحرب في أوكرانيا والصراع في غزة، حيث وصف ويتكوف الدبلوماسية بأنها "صفقات" تشبه الأعمال التجارية، مع التركيز على بناء الثقة بين الأطراف. والتقدير أن ترامب أراد إضافة إنجاز إلى سجله الذي ردده بأنه استطاع إنهاء 7 حروب، ويعوّل على التطوّر اللافت الذي سُجل في الآونة الأخيرة في علاقات الجزائر مع الولايات المتحدة في مجالات الأمن والدفاع والاقتصاد، لا سيما في مجال المعادن النادرة التي سبق لسفير الجزائر في واشنطن أن دعا إلى تعاون البلدين في قطاعها.

وقد كشفت تسريبات إعلامية حينها، أن واشنطن اقترحت حزمة اقتصادية مشتركة تشمل مشاريع بنى تحتية عبر الحدود وإعادة فتحها التدريجية، مقابل التزامات متبادلة بخفض التصعيد وتنسيق أمني إقليمي.

ورغم أن الخبراء في قضايا شمال أفريقيا استبعدوا إمكانية الوصول إلى توافقات بين المغرب والجزائر خلال الـ 60 يوما التي حددها ويتكوف، خصوصا أنه لم يصدر حينها عن الرباط والجزائر أي تعليق رسمي بشأن مسعى أميركي للتوصل إلى اتفاق. لكن مصادر متخصصة رأت أن اعتراف واشنطن بمغربية الصحراء وإشارة بولس في مقابلته إلى أن الصحراء "مغربية" يؤكد انحياز واشنطن إلى الرباط في مسألة الصحراء، ما يعني أن تجاوب الجزائر مع الجهود الأميركية يتطلب تخلي الجزائر عن موقفها التاريخي من هذه المسألة.

ورأى المراقبون أن إعلان ويتكوف عن اتفاق قريب بين الجزائر والمغرب يتأسس على معطيات صلبة بناء على تواصل متعدد المستويات أجرته واشنطن مع البلدين. ويؤكد هذا الاتجاه إعلان بولس بأن الرئيس الجزائري منفتح على إعادة العلاقة مع المغرب والشعب المغربي. كما كان يعتقد أن المناقشات وصلت إلى حدود رعاية الولايات المتحدة لخطة اقتصادية تشمل البلدين.

ولفت المختصون إلى حقيقة أن هذا الاختراق يقوم على تطوّر لافت في علاقة الجزائر مع إدارة ترامب الحالية لاسيما في مجالات الأمن والدفاع والاقتصاد، علما أن الجزائر كانت محسوبة على الاتحاد السوفييتي سابقا وتملك علاقات متقدمة مع روسيا حاليا. وكان التقدير أن ترامب يسعى لتبريد خلاف الجزائر والمغرب من ضمن مساعيه لوقف حرب غزّة وأوكرانيا وتأكيده على النجاح في وقف 7 حروب.

وبالنظر إلى أن العاهل المغربي كان سبق أن كرر دعوة الجزائر إلى طيّ الصفحة والتوجه إلى السلام وإنهاء الخلاف، فقد توفّرت قناعات بأن تقدما حصل في وجهة نظر الجزائر تتيح إعلان واشنطن عن اتفاق قريب. ويعتقد أن البلدين، لا سيما الجزائر، يقومان بالتموضع وفق التحوّلات الإقليمية والدولية التي تدفع باتجاه تجميد النزاعات والالتحاق بالخرائط الجيوسياسية والاقتصادية في العالم.

التحوّلات بين الأمس واليوم

انتهى اجتماع مجلس الأمن في 31 تشرين الأول (أكتوبر) 2025 معلنا قرارا يعترف بوجهة نظر المغرب ويشرّع التفاوض وفق اقتراحها إقامة حكم ذاتي في الصحراء تحت السيادة المغربية الكاملة. خرج العاهل المغربي الملك محمد السادس بعد ساعات بخطاب توجّه به إلى المغاربة. اختصرت كلمات الخطاب اللحظة التي اختلطت داخلها مواجع التاريخ، وعوامل السياسة والعلاقات الدولية، ومصير قضية باتت خلال 50 عاما قضية المغاربة الأولى مهما اعترت مشاربهم تيارات وتوجهاتهم السياسية. بات باستطاعة ملك البلاد محمد السادس أن يخرج ليعلن أن "ما بعد 31 تشرين الأول لن يكون كما قبله". لكن أيضا ليبشّر المغاربة أنه "حان وقت المغرب الموحد من طنجة إلى الكويرة الذي لن يتطاول أحد على حقوقه وحدوده التاريخية".. لكن كيف حدث ذلك؟

زحف المغاربة عام 1975 في «المسيرة الخضراء» خلف ملكهم الراحل الحسن الثاني لانتزاع الصحراء من اسبانيا. وحين تخلى المستعمر عن فريسته ظهرت الطباع المعقّدة لقصة كادت تكون جميلة. وجد الصراع القديم بين المغرب والجزائر في "القضية" مادة نكد ما زالت من أبرز ملفات الخلاف بين بلدين.

بالمقابل استندت الجزائر على استراتيجية اللعب خلف الكواليس. وقفت، باسم تراث البلاد الثوري في «دعم حق الشعوب في تقرير مصائرها»، لتدعم جبهة البوليساريو ذات المطالب الاستقلالية. وبدا أن العالم انقسم في موقفه من مسألة الصحراء وفق مصالحه مع هذه الدولة أو تلك، ووفق اصطفافات تطوّرت وتحوّلت منذ اندثار الحرب الباردة، انتهاء بتلك التي أنتجت ذلك المشهد السريالي لجلسة مجلس الأمن يوم 31 تشرين الأول (أكتوبر) الماضي.

في بداية ذلك الصراع كانت التيارات اليسارية المناوئة لحكم الملك الحسن الثاني حائرة تنتهج جدلا دقيقا حساسا متضامنا مع حقوق الشعوب، بما فيها الصحراوية، ومتحيّزا للهوية المغربية للصحراء. وحين فتح الملك الراحل صفحة جديدة مع المعارضة وعيّن أبرز «

الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون: هل من مرونة حيال المغرب؟

الملك محمد السادس: المغرب بات موحدا من طنجة إلى الكويرة

قادتها عبد الرحمن اليوسفي وزيرا أول في البلاد عام 1998، تبدّدت تلك الحيرة الطارئة، وصار سهلا لأي مراقب استنتاج أن الصحراء قضية وطنية يحملها كل مواطن في داخل المملكة وخارجها وتكاد تكون القضية الوحيدة التي تحظى باجماع كامل لا لبس فيه.

بدا أن الأمم المتحدة ومبعوثيها تناوبوا على فتح بازارات لاحتمالات الحل. تراوحت السيناريوهات وتناقضت ما بين احتمال الاستقلال وسيناريوهاته العزيز على قلب الجزائر والبوليساريو من جهة، وتمسّك المغرب من جهة أخرى بالسيادة الكاملة على كامل الصحراء. وحين قدمت الرباط أول مرة عام 2007 خطة مرنة لإقامة حكم ذاتي في الصحراء، ارتبكت حسابات واختلطت، وناورت عواصم وتذبذبت مواقفها. انتهى كل ذلك وبدت العواصم في آخر تشرين الأول (أكتوبر) الماضي "«مستسلمة» لخيار المغرب خطة وحيدة يقوم التفاوض بشأنها لطيّ الملف وإقفال الجدل بشأنه.

ترامب: اعتراف بمغربية الصحراء -صورة ايمانويل ماكرون

ماكرون: تغيير بوصلة فرنسا من الجزائر إلى المغرب

المبعوث الأميركي مسعد بولس: تبون منفتح على الحل مع المغرب

دبلوماسية المغرب البراغماتية

يعرف المغاربة أن مسار السنين بين 1975. 2025 كان صعبا معقّدا شائكا، وكاد يكون مستحيلا. يعرفون أن الرباط طرقت أبواب العالم، باباً باباً، لجذب العواصم إلى دعم قضية المغرب في الدفاع عن السيادة على أقاليمه الجنوبية. ولئن انقسم العالم في زمن الحرب الباردة انقساما منطقيا مفهوما متّسقا مع انقسام إيديولوجيات نظام الجمهورية الجزائرية ونظام الملكيه في المغرب، فإن الإنقسام الدولي بات ما بعد اندثار ذلك الزمن، أكثر وحشيا تشظيا وعبثية، بحيث غابت خطوط الخنادق ولعبت المصالح وأحجية الأسواق ومزاج الاصطفافات أدوارا لانتاج تيارات أكثرها رمادي ملتبس خبيث. وطالما أن المسألة تغذي خلافا بين الجزائر المغرب، فإن الانتهازية المتحدة (مينورسو) على أساس التفاوض على خطّة المغرب "الوحيدة" لم تكن مفاجئة. بدا أن تحوّلات دولية بعضها معلن وبعضها غير ظاهر للعيان استشرف ذلك التطوّر. ظهر أن دبلوماسية الرباط صوب روسيا والصين حيّدت تصويت البلدين ورفع الحواجز من أمام تحوّل ترعاه واشنطن وحاملي الفيتو الغربيين في مجلس الأمن. صوت مجلس الأمن بغالبية 11 صوتاً مع القرار، مع امتناع روسيا والصين وباكستان عن التصويت، وعدم مشاركة الجزائر في هذا التصويت، وهنا بيت القصيد، ذلك أن تحوّلا كبيرا طرأ على علاقة الجزائر والولايات المتحدة.

الجزائر بين موسكو وواشنطن

رصد المراقبون ظواهر تحوّل تاريخي في علاقات الجزائر مع الولايات المتحدة وسط سعيٍ ضبابي في المحافظة على العلاقات التقليدية القديمة للجزائر مع روسيا. ورغم عدم تكثفت لإنتاج مواقف تتيح الأكل على موائد البلدين.

وجب الاعتراف بنجاح دبلوماسية رشيقة براغماتية مكثفة دؤوبة اعتمدتها الرباط للدفاع عن الصحراء. ووجب الإقرار أيضا أن تلك الدبلوماسية طوّرت موقفا أميركيا انتهى إلى اعتراف الرئيس الأميركي دونالد ترامب عام 2020 بمغربية الصحراء. شكّل ذلك الإعلان تحوّلا مفصليا كبيرا في المزاج الدولي العام. أحدث موقف واشنطن ارتدادات أصابت عواصم أوروبية تأخرت، لكنها التحقت بالقطار، لتعلن انتهاء الرمادية والانحياز الكامل لخطّة المغرب. كانت الجزائر تراقب بقلق ذلك الانقلاب المتدحرج في مواقف حتى دول مثل روسيا والصين تقليدية في عراقة علاقاتها مع الجزائر.

انتظر المغاربة جلسة مجلس الأمن آخر الشهر الماضي باهتمام. لكن مصادقة المجلس على مشروع القرار الذي يجدد لبعثة الأمم وجود رأي حاسم يجزم في هذا الملف، لاحظ الباحثون تراكم خطوات قد يُفهم منها توجه الجزائر إلى تحوّل استراتيجي داخل مشهد دولي في تحوّل. ففي 14 أيلول)سبتمبر) 2025، أعلن بيان صادر عن وزارة الدفاع الجزائرية عن رسو المفرزة التابعة للأسطولين الروسيين للبحر الأسود والبلطيق، المكونة من الغواصة «نوفوروسيسك» والقاطرة البحرية للإنقاذ «ياكوف غريبيلسكي»، بميناء الجزائر. لكن في 14 من نفس الشهر، أعلنت السفارة الأميركية بالجزائر، أن اللواء كلود ك. تيودور الابن،، يقوم بزيارة إلى الجزائر للقاء الفريق مصطفى سماعلي، قائد القوات البرية الجزائرية.

أتت الزيارة الأميركية في سياق استمرار الزخم الذي عرفته العلاقات العسكرية بين البلدين منذ توقيع الاتفاق الأول من نوعه في 22 كانون الثاني (يناير) 2025 بين رئيس أركان الجيش الوطني الشعبي الجزائري، الفريق أول سعيد شنقريحة، والقائد السابق لأفريكوم الجنرال مايكل لانغلي. وأتت الزيارة بعد تلك، في 27 يوليو 2025، التي قام بها مسعد بولس، مبعوث الرئيس ترامب، المكلف بالشؤون الإفريقية والشرق أوسطية.

اعتبرت تقارير أمنيه الاتفاق العسكري بين الجزائر وواشنطن شكّل تحولاً استراتيجياً في ميزان العلاقات بالمنطقة ومن أسباب إنهاء مهمة الشراكة العسكرية الروسية الخاصة في مالي. وأضافت أن الرسو البحري الروسي وزيارة القائد العسكري الأميركي يعبّران عن نجاح الجزائر في انتهاج سياسة خارجية متوازنة بين الشرق والغرب.

بالمقابل أشارت مصادر أميركية إلى أن الأمر يعبّر عن تطوّر في توجهات الإدارة الأميركية منذ بدء ولاية الرئيس دونالد ترامب الحالية باعتماد سياسة أخرى مع بلد يفترض، ومنذ عهد مرحلة الحرب الباردة، أن اصطفافاته قريبة من موسكو. وتلفت جهات بحث أن الجزائر سعت إلى تطوير علاقاتها مع الصين والانخراط في مجموعة "بريكس"، غير أن المجموعة لم تدرج الجزائر في قائمة الدول التي قبلت عضويتها مثل الإمارات ومصر والسعودية وأثيوبيا وغيرها. وقد حمّلت الجزائر روسيا مسؤولية هذا الإخفاق.

ووفقاً لتقارير متعددة، بدأت الجزائر في تلقي مقاتلات سوخوي Su-35 من روسيا في مارس 2025، حيث تم رصد طائرة واحدة على الأقل في قاعدة عين البيضاء/أم البواقي الجوية عبر صور الأقمار الصناعية. وقال مراقبون إن الجزائر وموسكو اعتمدتا غموضا بشأن صفقة المقاتلات ما يتيح لتسريبات أن تعتقد بأن هناك أزمة ما في تنفيذها على الرغم من تحسّن علاقات البلدين بعد برودة وتوتر.

*صحافي وكاتب سياسي

النص الكامل على موقعنا الإلكتروني

وجهة نظر

هؤلاء المرضى الذين يحكموننا

البروفسور
نسيم الخوري*

أبحث بكثير من المنطق العلمي والتاريخي عن ملامح وجذور الهويّة الشخصيّة للبنان هذا الوطن الصغير المسكون أبداً لا بحجمه الداخلي الجغرافي والبشري بقدر سكونه وعدم سكونه في أن يكون ويبقى المُدلّل المُتحرّك في معظم دول العالم الكبيرة والصغيرة. صحيح أنّه وطن يغري أوطان الغرب لا بمهاجريه وحسب بل بقبعته الديمقراطية في هذا الشرق العربي لتحميه بل تعطف عليه وتُريده وتُدافع عنه دول وأنظمة العديد من جغرافيات العالم وأنظمتها وسلطاتها، لكنها حذار تبقى الحمايات والتدخلات الدولية الصغرى والكبرى متعددة الرؤى والمصالح يصعب حصادها وتوضيبها في هذا المقام لأسباب معقّدة لا تنتهي ويصعب تليينها أعني الشخصي والعائلي والوطني والطائفي والمذهبي والتاريخي الداخلي والخارجي. هذه بعض سمات أهل السلطات والفئات اللبنانية المتنوعة التي يتمظهر فيها الخارج أبداً أقوى من الداخل المتحيّر بصيغ المفرد لا بصيغة الجمع.

أيمكنني الجهر أنّ تصرّفات العديد من أهل السلطات بل عائلاتها تشابه سلوك المدمنين نكوصاً نحو الموت وإشعال الحروب وتخريب لبنان عندما تلوح مخاطر فقدان السلطة لدى أحزاب العائلات من الأجداد إلى الأحفاد وحتى أحفاد الأحفاد؟

تذكّرني مسألة الإلحاح على توريث السلطة إلى الأبد اللبناني، من الأجداد إلى الأولاد والأحفاد والأصهار وأبناء العمومة والخالات والأخوال وذرية الأحفاد وصولاً إلى آخر الأزمنة، بالكتاب الشهير gouvernnent" Ces maladies qui nous لـ «بيار رنتشنك» أي «هؤلاء المرضى الذين يحكموننا» والذي باع بما يفوق الخبز في فرنسا في السبعينات إذ كنت طالباً للدكتوراه في جامعة السربون.

إنّه من النصوص الرائعة التي كتبت في أمراض السلطات والسلاطين المتوّجين أبداً من الخارج أوّلاً ثمّ من الهويّات الفولانية الطائفية والحزبية. المسألة ليست إذن لبنانية تحديداً، لكنها تبدو نموذجية صمغية في لبنان عندما يعبر الوزراء ونواب العائلات المذهبية "العريقة" بياقاتهم المنشّاة وستراتهم المستوردة الباهظة الأثمان، وشعورهم المسرّحة وبسماتهم أو ضحكاتهم غير المفهومة وغير المبرّرة تبرز أسنانهم البيض أو المبيّضة فوق دماء الجرحى والشهداء والمشرّدين والمنكوبين بعد كلّ تفجير أو اغتيال أو حروب مذهبية وطائفية. يعبرون لتمتمة كلمات تشابه كلمات الاستظهار بالعربية التي كان يقف لها أولادنا الصغار في الصفوف يلقونها لتبدو أصواتا فارغةً من معانيها مغلّفة بالأصوات العالية حفاظاً على ملكيات العائلات في الوطن. هذا ما حصل ويحصل اليوم وسيحصل حيث تبدو المداخلات والخطب فارغة لمن هم بأعمارنا محشوّة بل مثقلة بشهوات السلطات المتجددة وروائح الانتخابات البرلمانية المرتقبة في الداخل والخارج حيث ينتخب رؤساء العالم وشعوبها معنا وصولاً إلى الديمقراطيات المذهبية التي لطالما اختلطت بروائح الحروب والخوف وصفّارات الإنذار بحثاً عن طريق للنفاذ. تكرّ خلالها وبعدها عشرات الشاشات والبرامج الطائفية والعائلية حيث لا مخيلة تفوق مخيلات اللبنانيين وتصوراتهم وهم يجرون خلف مخيلات الإعلاميين وتوقهم إلى ممارسة سلطات الإعلام بعدما تمكّن إعلاميو لبنان من قطع رأس مونتسكيو القائل بأنّ الإعلام هو السلطة الرابعة في الأنظمة الديمقراطية بعد السلطات البرلمانية والحكومية والقضائية.

الجميع يطال بالحوار اليوم وقد أدمن اللبنانيون في السنوات الماضية، العديد من جولات الحوار بين زعمائهم وممثلي طوائفهم وأحزابهم المتقاتلة الأبديين. كانت تأتي حلقات الحوار في أعقاب جولات من العنف الدامي لتضع حداً له بقرارات لوقف النار، أو بتأليف لجان أمنية مهماتها كانت محصورة بوقف القتال الذي كان هشّاً في أغلب الأحيان سرعان ما يخرق بمعارك متجددة. إنهم يشهدون للمرّة الأولى مناخاً معقّداً في الحوار لأنّ العدو الإسرائيلي لم يقرع الأبواب بل هو في الداخل اللبناني بعد غزّة التي قرعت الأبواب في العالم، وإذا كانت النصائح العربية والدولية المكثّفة حريصة كما يُشاع اليوم على أن تبقى مناخات الحوار الإيجابية هي السائدة في لبنان ريثما يزور البابا لبنان، ولو لم يتم التوصل إلى نتائج حاسمة أو اتفاق، كما هو الواقع، فإننا بقينا مجمّدين عند دم الحقيقة التي كانت وما زالت مرتبطة أساساً بصراحة باغتيال الرئيس رفيق الحريري والحقائق المتسلسلة والتي طال سلسالها في الخرائب والانهيارات بل الحروب المتلاحقة حول بحيرات النفط والغاز. يبدو الحوار واضحاً برعاية بل بمشيئة دولية على ارتباط وثيق بمستقبل المنطقة والصراع التاريخي العربي الإسرائيلي. ولا أظن أن أحداً من جهابذة لبنان مهما علا شأنه وانتماءاته الغربية والشرقية وتطلعاته أو مراهناته، قادر بعد على مجانبة مستقبل لبنان خارج الإرادات الدولية والعربية ومصالحها ومصالح المستقبل اللبناني من أميركا إلى فرنسا والمملكة العربية السعودية ومصر وقطر وغيرها. وسينسحب الوضع قطعاً على مستقبل لبنان ولا ننسى أنّ المصالح الدولية التاريخية كانت تاريخياً في صلب تكوين لبنان تأسيساً متجدّداً كما يظهر، لوطن في مجموعة يتعرّض عند كلّ خلاف إلى أزمات وحوارات تكاد لا تنتهي وتهدد كيانه وتضعه ريشة في مهبّ العاصفة. الحوار اليوم يتجاوز لبنان والأطراف التي تحاورت في الدوحة وقبلها في الطائف لوضع دستور جديد لم يُطبق بعد ويخلع محاورات أجداد المتحاورين وأبناء العائلات في باريس وغيرها من العواصم والدوائر الغربية. تتطلّع الأجيال الجديدة في تمثيلها إلى المناخات اللاطائفية التي تتجاوز في تطلّعاتها المصالح الطائفية الضيّقة، وهؤلاء يمثلون أغلبية اللبنانيين في الداخل والخارج لا يملكون السلاح ولا الثروات لكنهم يملكون كما أهل الخليج والعرب والعالم نوعاً من هذا العشق الغريب بلبنان.

لربما يكون مفتاح الخروج من التخبط المتعفن إصدار قانون عادل للانتخابات البرلمانية يفتح أبواب البرلمان للنساء والشباب والتجديد أوّلاً، لا سيّما أن أخباراً سمجة غير مكدرة تنذر بمحاولات حرمان لبنان المغترب من المشاركة عبر تهريب القوانين وقُل تهريب الانتخابات أو تأجيلها، إذا كان هناك شبه احتمال من سقوط نائب أو حبّة نائب من سبحات الكتل النيابية التي... ليملأ قارئي الحبيب الفراغ عنّي.

كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه.
* عضو الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات في لبنان
drnassim@hotmail.com

شهران مفصليان وخطيران ولبنان امام خيارين كلاهما مرّ

التصعيد والضغوط الاسرائيلية والاميركية او التفاوض المباشر!

بيروت ـ غاصب المختار*

يمر لبنان خلال هذين الشهرين بمنعطفات امنية وسياسية دقيقة وقد تكون نتائجها خطيرة على الحكم والحكومة، مع اقتراب مرور سنة على انتخاب جوزيف عون رئيسا للجمهورية (كانون الثاني 2025)، واقل من سنة بقليل على تشكيل حكومة الرئيس نواف سلام (شباط 2025)، بحيث لم تهدأ ساحة لبنان نتيجة مواصلة الاعتداءات الاسرائيلية على مناطق الجنوب والبقاع واحيانا على الضاحية الجنوبية لبيروت، ونتيجة الانقسامات والخلافات التي عصفت بالحكومة والمجلس النيابي حول قضايا مصيرية كمثل جمع السلاح والمفاوضات مع الكيان الاسرائيلي، وحول قضايا إجرائية داخلية كمثل الخلاف حول قانون الانتخابات المفترض ان تجري في شهر ايار– مايو المقبل، وبخاصة ما يتعلق بإقتراع المغتربين، ما هدد بتعطيل وشل عمل البرلمان والحكومة.واضيفت اليها مؤخراً حملة عقوبات اميركية على قطاعات مالية بحجة منع تمويل حزب الله ما يؤدي الى تفاقم الازمة.

تكاد تمر سنة على العهد الجديد والحكومة الجديدة، ولبنان ما زال اسير الضغوط الخارجية ومحاولات وضع اليد على قراره السيادي، تدل على ذلك كثرة الوفود العربية والاميركية والاوروبية التي تأتي ليس لإستطلاع الوضع اللبناني عن قرب فهو بات مكشوفاً بصورة واضحة، بل لطرح مشاريع حلول للأزمات القائمة ولا سيما الازمة حول إنهاء الاحتلال الاسرائيلي ووقف عدوانه وتحرير الاسرى اللبنانيين لديه وترتيب الحدود البرية مع فلسطين المحتلة وكذلك مع سوريا، وحول جمع سلاح حزب الله.

وقد أعلن رئيس الجمهوريّة جوزيف عون «إستعداد لبنان للتفاوض مع إسرائيل من أجل إنهاء الاحتلال»، لكنّ المفاوضات لا تكون من جهة واحدة، بعدما قابلنا الطرف الآخر بمزيد من الاعتداءات، على أن يحدّد شكل التفاوض وزمانه ومكانه لاحقاً".

وجاء ذلك على أثر توسّع الموفدة الأميركيّة مورغان أورتاغوس في مهمّتها، وقد صارت عسكريّة ـ سياسية، كونها باتت مكلفة بالعمل كمستشارة للجنة الاشراف على اتفاق وقف الاعمال العدائية (الميكانيزم) بين لبنان واسرائيل، تحضر اجتماعاتها الدورية وتطرح افكارها وتوجهات الادارة الاميركية، لتعيد اخيراً تقديم طرحها القاضي بتوسيع اللجنة شكلا ومهمات لتشمل التفاوض على كل الامور العالقة وصولا الى اتفاق سياسي، ولتضم موظفين رسميين مدنيّين لبنانيين(وزراء او سفراء).

وتفيد المعلومات الواردة من واشنطن الى بيروت، إنّ الأميركيين، وتحديداً المحيطين بالرئيس دونالد ترامب، متحمسون لتفعيل المسار التفاوضي، وصارت له أولوية توازي ملف جمع السلاح..لكن تفيد مصادر زوار رئيس الجمهورية لـ «الحصاد» بأن عناوين التفاوض وشكله وشروطه لم تكن واضحة الى حين وصول السفير الاميركي الجديد في بيروت ميشال عيسى (اللبناني الاصل من بلدة بسوس بقضاء عاليه)، الملكف متابعة الملف اللبناني بدل الموفد السفير طوم برّاك، الذي انتهت مهمته في لبنان وزياراته المكوكية بالفشل الذريع نتيجة عوامل واسباب كثيرة منها اميركي ومنها اسرائيلي، ومنها تمسك لبنان بمواقفه حول وقف اطلاق النار والتفاوض العسكري لا السياسي.

تضيف المعلومات الورادة من واشنطن، إنّ المسؤولين اللبنانيين يتعاملون بحذر مع هذا الملف ويفضلون التريث والتدقيق في الاقتراحات المطروحة، قبل توسيع طاولة التفاوض لتتجاوز المسألة العسكرية. أما الإسرائيليون فيصرون وفق المعلومات على التفاوض السياسي والمباشر.

شروط التفاوض

في لبنان، تقول مصادر معنيّة إنّ الكلام عن المفاوضات لا يزال مبدئياً. بمعنى أنّ لبنان وافق على التفاوض غير المباشر عبر "لجنة الميكانيزم" ليرمي الكرة في الملعب الإسرائيليّ لكي لا يُحمَّل مسؤوليّة رفض الحلول. لكنّه وبرغم كثرة الوفود لم يتبلّغ (حتى كتابة هذه السطور) الموقف الإسرائيلي. ومن هذا المنطلق، ترى المصادر أنّ استعداد لبنان للتفاوض لا يعني الذهاب مباشرة إلى الطاولة، ولا يعني تذليل العقبات التي تحول دون انطلاق هذا المسار، بسبب الشروط التي يضعها لبنان وجوهرها العودة الى اتفاق الهدنة لعام 1949، ورفض وجود سياسيين رسميين في لجنة الميكانيزم، بل أنّ لبنان قد يوافق على ضمّ اختصاصيّين وتقنيين ومساحي خرائط أو مستشارين إلى اللجنة، لكنّه يرفض ضمّ وزراء أو دبلوماسيّين أو أيّ مسؤول له صفة رسميّة.

ويرى لبنان أنّ الهدف من توسيع "الميكانيزم" هو البحث في الأمور العالقة، وأهمّها تثبيت الحدود البرّيّة بعد الانسحاب الاسرائيلي من النقاط المحتلة. لكن من وجهة نظر إسرائيل ان يكون هدف التفاوض البحث في ترتيبات أمنيّة وصولاً الى ترتيبات سياسية ما لا يزال لبنان يجهل تفاصيلها.

لكن كشفت مصادر لبنانية مطلعة، أن الولايات المتحدة الأميركية قدمت مقترحاً إلى لبنان يقضي بتوسيع صلاحيات لجنة الرقابة الخماسية «الميكانيزم» لتشمل جميع الحدود اللبنانية، بما فيها الحدود السورية، وأن من شأن قبول لبنان بالمقترح الأميركي تعزيز السيطرة الأميركية الإسرائيلية على جميع الحدود اللبنانية وليس الحدود الجنوبية فقط كما هو الوضع في الوقت الراهن.

ومن الواضح أنّ هناك ضغطاً أميركيّاً لكسر حاجز التفاوض السياسيّ مع إسرائيل، خصوصاً أنّ هناك وجهة نظر تقول إنّ ما تتمتّع به إسرائيل من حريّة حركة عسكرية منحتها إيّاها واشنطن مع إعلان وقف إطلاق النار، يغنيها عن أيّ تفاوض مع لبنان لا يحقق شروطها، لا سيما أنّها تتّهمه بالتلكّؤ في تنفيذ قرار حصريّة السلاح.

زيادة الضغوط

بعد رفض لبنان اي مفاوضات سياسية مباشرة مع اسرائيل ازداد الضغط الاميركي وغير الاميركي على لبنان، فغابت لجنة الميكانيزم التي يرأسها جنرال اميركي عن السمع، ولم تتخذ اي إجراء لوقف الغارات الواسعة التي نفذتها اسرائيل على مناطق كثيرة في الجنوب والبقاع وادت الى ارتفاع عدد الشهداء والجرحى وحجم الاضرار المادية. وبدأت المواقف الاميركية العلنية تلوّح بتصعيد الوضع وتطلق التهديدات والتحذيرات بأنه "ما لم ينهي لبنان جمع سلاح حزب الله خلال هذين الشهرين فإن اسرائيل ستتكفل بالموضوع بالقوة". وذهب الموفدان اورتاغوس وبرّاك الى تبني الموقف الاسرائيلي بأن " لبنان لم يلتزم بتعهداته لجمع سلاح حزب الله ولن نضغط على اسرائيل"!

كمانقلت اورتاغوس وغيرها من اسرائيل مزاعم لتبرير تصعيد عدوانها بأن "حزب الله يعيد التسلح وبناء قدراته العسكرية استنادا الى التقارير الامنية الاسرائيلية مؤخرا التي تحدثت عن تمكن الحزب من ادخال كميات من الصواريخ والاسلحة الى لبنان عن طريق سوريا».

كتاب الحزب

وبعد كل هذه التطورات المتعلقة بجمع السلاح والتفاوض، جاء كتاب حزب الله مطلع الشهر الماضي الذي وجهه الى رؤساء الجمهورية والمجلس النيابي والحكومة والى الشعب اللبناني، وخرج فيه عن صمته وحدّد موقفه من المستجدات المتصلة بوضع الجنوب وما يُطرح حول تسليم سلاحه والتفاوض مع كيان الاحتلال، حيث اعلن «إن لبنان معني (راهناً بوقف العدوان بموجب نص إعلان وقف النار والضغط على العدو الصهيوني للالتزام بتنفيذه، وليس معنياً على الإطلاق بالخضوع للابتزاز العدواني والاستدارج نحو تفاوض) سياسي مع العدو الصهيوني على الإطلاق، فذلك ما لا مصلحة وطنية فيه وينطوي على (مخاطر وجودية تهدد الكيان اللبناني وسيادته»).

وبرغم انتقاد خصوم الحزب لمضمون هذا الكتاب وتفسيره على انه رفض لخيار لبنان التفاوضي، فبرأي المقربين من الحزب، ان موقفه هذا يزيد من متانة موقف الحكم والحكومة، لجهة تمسكهما بثوابت ومواقف ـ كي لا يُقال عنها شروط ـ في مواجهة الطرح الاسرائيلي والاميركي حول موضوعي السلاح والتفاوض، بعدم التنازل عن حقوق لبنان، لا سيما حقه في استعادة اراضيه المحتلة وفي مقاومة الاحتلال اذا استمر في تصعيد عدوانه على البشر والحجر وعلى السيادة اللبنانية.

وبدا ان هناك تفاهماً اوتناغماً بين الحزب وبين الرئيسين جوزاف عون ونبيه بري على الاقل، إن لم يكن ايضاً مع الرئيس نواف سلام، حول موضوع التفاوض بشكل خاص، لجهة ان الدولة اعتمدت رسمياً إطار لجنة (الميكانيزم) دون غيرها للتفاوض مع اتجاه لقبول تطعيمها بتقنيين وفنيين وخبراء، وليس سياسيين، عند اللزوم وحسب حاجة الجيش. اما ملف السلاح فهو يسيروفق الخطة التي اعدها الجيش وتتم متابعته بالحوار القائم بين الرئيس عون وحزب الله بما لا يمس قرار الدولة ولا يؤدي الى استهداف الحزب.

وبرأي جهات سياسية رصدت بدقة كتاب الحزب الى الرؤساء ، ان الحزب رفض في كتابه صيغة التفاوض التي يطرحها الاميركي والاسرائيلي، و ان موقف الحزب من التفاوض يساند عملياً ولا يعرقل موقف الحكم، لأنه موقف رافض للتفاوض المباشر وبخاصة السياسي منه، كما هو موقف لبنان الرسمي، ورافض لكل الاملاءات والشروط الاسرائيلية، ومايُسرّب عن املاءات وشروط اميركية، وهو امر يُعزّز ما تردّد عن موقف مصري أبلغه مديرالمخابرات اللواء حسن رشاد الى لبنان برفض الشروط الاسرائيلية والتمسك بمواقفه لتقوية وضعه خلال التفاوض اذا تم.

وحسب ماقال مرجع رسمي كبيرلـ «الحصاد»، فإن التفاوض لمعالجة الوضع جذرياً في الجنوب هو البديل الوحيد عن الحرب، وان الحكم يقوم بالاتصالات شبه اليومية مع الجانب الاميركي بشكل خاص لا سيما مع «المستشارة» مورغان اورتاغوس، وتبين انها دعت الحكم والحكومة الى التروي وإنتظار تسلّم السفير الاميركي الجديد في بيروت ميشال عيسى مهامه رسمياً، لأنه يملك مفتاح خزنة أسرار التوجهات الاميركية الجديدة حيال لبنان، وكل هذا سيتبين عند وصول السفير عيسى الى بيروت ليُبنى الموقف اللبناني الرسمي النهائي على الموقف الاميركي والتفاصيل التي يحملها السفير. بينما لم يعد من دور مباشر او غير مباشر للموفد طوم برّاك في لبنان.

لكن مع الاستعصاء الحاصل بعد الشروط والشروط المقابلة وتمسك لبنان بمواقفه، بدا من التوجهات الأميركية الجديدة قبيل زيارة وفد الخزانة الأميركية ومجلس الأمن القومي الى بيروت والمعني بالعقوبات وملاحقة الأموال من ضمن جولة له في المنطقة، ان التصعيد والضغط السياسي سيأخذان منحى آخر عبر توسيع العقوبات الأميركية الاقتصادية والمالية على لبنان كما ذكرت التسريبات الإعلامية من واشنطن ومواقف أعضاء الوفد الزائر، لتطال بعض القطاعات، وليس فقط الأفراد المشتبه بتعاملهم مع إيران وحزب الله في نقل الأموال، كمثل «شركات الصرافة والاقتصاد النقدي والأموال الناتجة عن صفقات تجارية سرّية لفريق تمويل الحزب، مثل بيع النفط الإيراني وسلع أخرى إلى لبنان عبر شركات الصرافة المرخّصة وغير المرخّصة أو تلك التي لا تجري فحصاً كافياً لعملائها»، كما قال وكيل وزارة الخزانة لشؤون الإرهاب والاستخبارات المالية جون هيرلي العضو في عداد الوفد الى لبنان، وذلك تحت حجة «ضبط تبييض الأموال والعمليات المالية غير الشرعية في لبنان». وهو أمر إن حصل سيزيد من حدّة الأزمة الاقتصادية في لبنان، لأنه سيطال قطاعات يعمل بها عشرات إن لم يكن مئات الأشخاص والموظفين ممن لا علاقة لهم بالحزب ولا بالسلاح ولا بالحرب. وقد يُسهم في عرقلة أو وقف عمليات تحويل الأموال لآلاف العائلات اللبنانية من ذويهم في الخارج تحت هذه الحجة.

* صحافي وكاتب سياسي

الرئيس عون ووفد الخزانة الاميركية توسيع العقوبات.

تفاصيل مثيرة من إسرائيل بشأن إعادة بناء قدرات «حزب الله»

لبنان: خلل سياسي وخطر عسكري

بيروت: محمد المشنوق*

كثيرون يسألون هل سيتمكن لبنان في أزمته وعدم قدرته على حصر السلاح بالجيش بتخطي الضغوطات الاميركية والاعتداءات الاسرائيلية اليومية المتصاعدة. هل يمكن الاستمرار بالخلل السياسي والخطر العسكري. سنحاول الإجابة عن هذا السؤال.

وعد رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، ووفى بوعده، حيث أدت سنتان من الحروب الإسرائيلية المدعومة من الولايات المتحدة وأوروبا والعرب ضد "حماس" و"حزب الله" و"الحوثيين" في اليمن وإيران إلى قلب المعادلات الإقليمية. نتج عن هذه الحروب إسقاط نظام بشار الأسد في سوريا، مما حرم إيران من تعزيز وجودها في المتوسط وفقدان أوراق القوة الاستراتيجية. وقد أتاح ذلك للرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب تقديم "إعلان وقف النار في غزة" كجزء من رؤية أميركية شاملة تهدف لتنظيم العلاقات الإقليمية على أساس اقتصادي وتجاري.

في هذه الأثناء، يبقى لبنان، المنكوب بعد ما يُعرف بـ"حرب الإسناد"، عالقًا في منطقة رمادية بين ماضيه وحاضره المجهول. تفتقر الدولة التي تسيطر عليها التوازنات الإقليمية الجديدة إلى شعارات حقيقية وقوة اتخاذ القرار. بات لبنان محصورًا من قبل إسرائيل، التي لم تتوقف عن حربها اليومية رغم إعلان وقف النار في 27 تشرين الثاني 2024. من جهة أخرى، أصبحت سوريا، للمرة الأولى في تاريخها، تندمج في المحور الأميركي–الإسرائيلي–الخليجي بعد أن كانت لعقود ضمن المحور السوفياتي ثم الإيراني، وتقدمت الآن في اتجاه التعاون مع روسيا.

الرئيس السوري الجديد، أحمد الشرع، الذي يُعد الأول من نوعه في البيت الأبيض، والرئيس جوزف عون، الذي لم يلتقِ ترامب في نيويورك، يواجهان تحديات في «وادي المفاوضات»، حيث يطالب الشرع بوقف الضربات الإسرائيلية، لكن إسرائيل تتجاهله وتتلقى الدعم اللازم من الولايات المتحدة. وفي ذات السياق، يواجه "حزب الله" مقاومة تجاه الضغوط التفاوضية، محذرًا من الانزلاق إلى فخاخ تفاوضية وسعيًا لعدم تسليم أسلحته.

موقع لبنان في مشروع ترامب

للشرق الأوسط الجديد

لم يشكل لبنان غالبًا أهمية قصوى بالنسبة إلى الأمن القومي الأميركي، إذ جرى التعامل معه من خلال رؤية الشرق الأوسط كمسرح واحد. لكنّ موقعه الجيوستراتيجي بين إسرائيل وسوريا حوّله إلى أرض صراع شبه دائم، وساحة لنفوذ إقليمي تناوبت عليه مجموعة دول متناحرة، مما فرض في حالات نادرة تدخلًا أميركيًا، حمايةً لأمن إسرائيل أولاً ومنعًا لتمدُّد الصراعات الإقليمية إلى خارج حدوده.

ولأن أميركا وإسرائيل تشدّهما روابط لا تتزعزع، ولهما تقييم مشترك للتهديدات، فإن تحوُّل لبنان في السنوات الأخيرة إلى منصة لإيران عبر «حزب الله» أدخله ضمن البرنامج الإسرائيلي–الأميركي لتصفية النفوذ الإيراني والمقاومة المسلحة ضد إسرائيل، بالإضافة إلى الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي. لذلك، يصر كل من ترامب ونتنياهو على استثمار نتائج حرب «طوفان الأقصى» لحصد مكاسب سياسية وعسكرية وأمنية في لبنان من ضمن مشهد الشرق الأوسط الجديد، الذي رسَمه سقوط بشار الأسد في سوريا، وهزيمة «حزب الله» في لبنان، وكذلك هزيمة «حماس» في غزة، واحتمال خروج العراق من النفوذ الإيراني، فضلاً عن الضربة الموجعة التي تلقتها طهران من إسرائيل وأميركا في حرب الاثني عشر يومًا في حزيران الماضي.

بعد «اتفاق غزة»، سارع الأميركيون إلى اقتناص الدينامية الإقليمية، لممارسة مزيد من الضغط على لبنان، متجاوزين «اتفاق 27/11/2024» وترتيباته الملحقة بالقرار 1701، بالإضافة إلى ورقة السفير توم براك، التي استند إليها مجلس الوزراء في اتخاذ قرار "حصر السلاح واستعادة الدولة سلطتها على كامل الأراضي اللبنانية" في 5 آب 2025. وضع المجلس أيضًا جدولًا زمنيًا لنزع سلاح "حزب الله" خلال مهلة 120 يومًا كحد أقصى. منذ ذلك الحين، ارتفع صوت توم براك مُطالبًا الرئيس جوزف عون بالاتصال بنتنياهو للبدء في اتفاق حول الأمور العالقة. كما أكدت مورغان أورتيغوس، خلال زيارتها الأخيرة للبنان، أهمية ذلك خلال حضورها اجتماع لجنة مراقبة وقف إطلاق النار (الميكانيزم) برئاسة الجنرال الأميركي جوزف كليرفيلد.

يرفض الأميركيون أي مقاربة خارج إطار المفاوضات المباشرة بين لبنان وإسرائيل، ويصرون في كل الاتصالات الجارية مع بيروت على أن السبيل الوحيد لتجنيب لبنان الضربات الإسرائيلية هو الشروع في خطوات تنفيذية لنزع سلاح "حزب الله"، والانخراط في مفاوضات سياسية مباشرة مع إسرائيل، بغية التوصل إلى اتفاق ينهي «حالة الحرب» بين الطرفين، مع حرصهم على التشديد أن واشنطن ليست في وارد ممارسة أي ضغط على إسرائيل لوقف عملياتها ضد لبنان و«حزب الله».

وكشف مطلعون على فحوى الرسائل الواردة إلى بيروت من أميركا وأوروبا ودول عربية أن آخر ما وصل إلى الرؤساء عون وبري وسلام كان جوابًا أميركيًا سلبياً على الاقتراح اللبناني باعتماد لجنة «الميكانيزم» كإطار للتفاوض. وأكدت الإدارة الأميركية رسميًا أنها غير معنية بتوسيع آلية "الميكانيزم" أو إضافة خبراء وتقنيين، ولا ترى في ذلك جدوى.

كذلك أفاد سياسي لبناني على تواصل مع الجانب الأميركي بأن واشنطن تستغرب كيف أن اللبنانيين لم يُدركوا بعد أن القرار الدولي 1701 بات في حكم الساقط، وأن الحرب الأخيرة أنهت مفاعيله بالكامل. ورأى أن امتناع لبنان عن تنفيذ بند نزع السلاح من "حزب الله" عزّز السردية الإسرائيلية بعدم جدوى التمسك بالقرار وموجباته.

وأشار السياسي ذاته إلى أن إسرائيل واضحة في مطلبها بأن ينتقل لبنان إلى مستوى جديد من المقاربة، يبدأ سياسيًا ثم يأخذ طابعًا أمنيًا وتنفيذيًا، وصولًا إلى تنسيق يشبه ما نص عليه اتفاق 17 أيار 1983. في هذه الأثناء، قالت مورغان أورتيغوس «إنها لا ترى موجباً لأن يراعي الحكم اللبناني «حزب الله» في ملفي السلاح والتفاوض». وأضافت أنها اطلعت على تفاصيل مثيرة من إسرائيل بشأن إعادة بناء قدرات «حزب الله»، لتخلص إلى أن "إسرائيل لن تنتظر طويلاً، وإنها مستعدة في أي وقت للقيام بمهمة نزع السلاح، في حال رفض لبنان القيام بها".

بينما كان الموفد توم براك "يؤنِّب المسؤولين في لبنان على تقاعسهم، وعدم المبادرة إلى خطوات للسير في مشروع تسوية شاملة مع إسرائيل". وطوّر براك مواقفه ليقول "إن لبنان أمام فرصة وحيدة لمنع عودة الحرب، تتمثّل في إعلان السلطات اللبنانية الموافقة على الدخول في مفاوضات مباشرة مع إسرائيل، ومنح الجيش اللبناني صلاحيات إضافية لنزع سلاح «حزب الله» في كل لبنان. لكنه أضاف "ليس منطقيًا أن يتوقع لبنان من الولايات المتحدة أن تمنع إسرائيل من القيام بما تراه مناسبًا لحماية أمنها".

يبقى لبنان الرسمي في وضع متأزم، عالقًا في رفضين يشكلان خطرًا حقيقيًا، حيث يُطلب منه استعادة الأراضي وإعادة الإعمار دون تقديم أي دعم أو تنازلات، على الرغم من أن إسرائيل والولايات المتحدة والدول العربية يشترطون نزع سلاح "حزب الله" مسبقًا قبل أي انسحاب.

تتفق جميع المعطيات على أن إسرائيل ليست مستعدة لتقديم ضمانات لوقف الغارات أو القصف أو الاغتيالات. كما أنها لا تعتقد أن مجرد بدء المفاوضات يلزمها بخطوات معينة، حيث لم تصدر أي إشارات من تل أبيب تدل على استعدادها للتفاوض. وفي ظل تلك الحالة، أكدت إسرائيل للمسؤولين الأوروبيين والعرب أنها لا تبحث في تنفيذ اتفاقية 27/11/2024 أو متابعة تنفيذ القرار 1701، الذي قد يُلغى مع انتهاء مهمة "قوات اليونيفيل" عام 2026.

هكذا، ووسط تصاعد التوترات العسكرية والإعلامية، تسعى الحكومة اللبنانية للاستفادة من الفرص المتاحة بعد «اتفاق غزة». وفي هذا السياق، قدّم المصريون، الذين شاركوا في اقتراح ترتيبات الاتفاق، أفكارًا من أجل وقف التصعيد الخارجي، تمهيدًا لمفاوضات بين لبنان وإسرائيل حول القضايا الأمنية والحدود.

توازياً بين تحركات واشنطن وإجراءات إسرائيل، تعمل الولايات المتحدة على تقليص الموارد المالية لـ «حزب الله» وتخفيف اعتماده على إيران. ووفقًا لوزارة الخزانة الأميركية، أفادت التقارير بأن الحزب أدخل إلى لبنان نحو مليار دولار في عام 2025، مما يشير إلى حيوية الدعم المالي الذي يقدمه.

حتى الآن، تسير إسرائيل وفق سياسة «المبادرة والهجوم الاستباقي»، مع التركيز على تنفيذ ضربات متواصلة لإلحاق أضرار هيكلية في القدرات اللوجستية والقيادية للخصوم، دون إمكانية تعويضها بسرعة. يبقى عامل الوقت أساسيًا في هذه الحرب، حيث يخشى القادة الإسرائيليون من الانزلاق إلى استنزاف طويل الأمد، مما قد يمنعهم من تحويل المكاسب التكتيكية إلى إنجازات سياسية استراتيجية مستدامة، الأمر الذي قد يؤدي إلى حالة من الدوران في حلقة مغلقة.

من هنا، قد تسعى إسرائيل إلى توسيع التصعيد الحالي، بحيث يكون أكبر من توغل وأقل من اجتياح شامل. ومن بين الأسباب التي قد تدعم هذا التوجه، هو أن خيار تصفية القادة الرئيسيين في «حزب الله» بهدف زعزعة قدرتهم وفقدان سيطرتهم قد تمت تجربته في السابق، كما في محاولات اغتيال قادة بارزين مثل حسن نصرالله وهاشم صفي الدين، لكنها لم تُفضِ إلى نتيجة حاسمة، حيث نجح الحزب في إعادة تشكيل قوته العسكرية بشكل سريع من خلال تكوين جيل جديد من القادة.

بالتالي، تظل الأوضاع منقسمة بين محاولات إسرائيل لزيادة الضغط العسكري والسعي نحو تحقيق أهداف استراتيجية في الوقت الذي تواجه فيه تعقيدات ميدانية وإقليمية تجعل من الصعب تحقيق نهايات قاطعة في أي صراع تعود به.

إن الاجتياح البري الواسع النطاق لتفجير الصواريخ الدقيقة والبعيدة المدى في الأنفاق في البقاع وإقليم التفاح يتطلب حشد عدد كبير من ألوية النخبة وعشرات الآلاف من الجنود النظاميين والاحتياطيين، وهو أمر يبدو مستبعدًا في الظروف الراهنة.

من جهة أخرى، فإن الخيار المتاح هو تطوير التصعيد الحالي عبر توغلات مؤقتة ومحدودة، مع توسيع الغارات إلى عمق الضاحية الجنوبية وبيروت، بالإضافة إلى البقاع والجنوب.

أما لبنان، فيواجه تحديات هائلة على الصعيدين الإسرائيلي والدولي، حيث يندلع انقسام حول الخيارات المتاحة للتصعيد وعدم توافق حول حلول أي تسويات.

يرفض «حزب الله» التخلي عن سلاحه تحت عنوان «مقاومة مع وقف التنفيذ»، ويطالب بشروط المنتصر بالرغم من وضعه كطرف مهزوم. في ذات الوقت، ترفض إسرائيل الانسحاب من الأراضي التي احتلتها في حرب «الـ 66 يومًا» عام 2024، مهددة بمواصلة الحرب حتى النهاية.

يبقى لبنان الرسمي في وضع متأزم، عالقًا في رفضين يشكلان خطرًا حقيقيًا، حيث يُطلب منه استعادة الأراضي وإعادة الإعمار بدون تقديم أي دعم أو تنازلات، على الرغم من أن إسرائيل والولايات المتحدة والدول العربية يشترطون نزع سلاح «حزب الله» مسبقًا قبل أي انسحاب.

المعادلة المعقدة تتكرر يوميًا: لا تراجع عن قرار الحكومة بحصر السلاح، مع عدم القدرة على التنفيذ لتجنب أي مشاكل داخلية. وبينما ينتظر اللبنانيون حلولًا غير واضحة في الأفق، يعيشون في حالة من الخوف بين خطر توسيع الحرب الإسرائيلية وانفجار الصراع الداخلي بطرق متعددة. يتسبب العجز في الوصول بالوضع اللبناني إلى معادلة شبه مستحيلة: لا قتال لخلل ميزان القوى، ولا تفاوض بسبب الضعف وفقدان الأوراق. ■

* صحافي - وزير لبناني سابق

إستراتيجيات الحرب الكبرى

غزة... اليابسة والبحر والحرب والغاز!

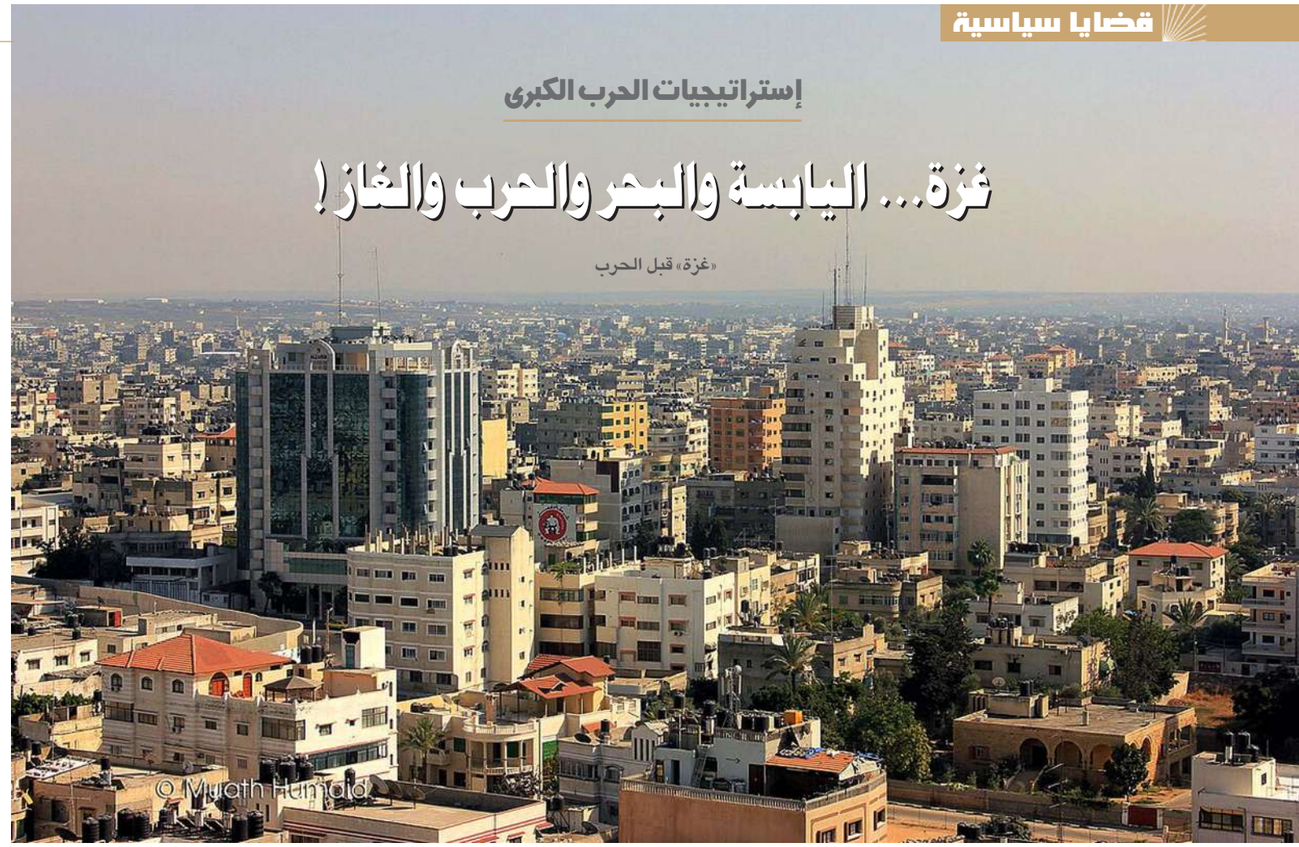

«غزة» قبل الحرب

فلسطين: أكرم عطاالله

في الأيام الأولى للحرب على غزة بعد السابع من أكتوبر كانت الولايات المتحدة الأميركية تستنفر سفنها وحاملات طائراتها وأساطيلها البحرية تجوب المحيطات لتحط قبالة السواحل الفلسطينية التي بدت في السنوات الأخيرة مركز ثقل دولي لما تحتويه من آبار غاز اتضحت أهميتها في الحرب الكونية التي تدور بين روسيا وأوكرانيا بإصطفافاتها البعيدة فهل جاءت السفن وحاملات الطائرات تحمي اسرائيل المدججة بكل الأسلحة البرية والجوية والبحرية أم لتحمي شيئاً آخر ؟

كانت غزة قبل ربع قرن على موعد مع المناسبة أو الحدث الذي سيحدد مستقبلها أو تاريخها الذي ستكتبه بالدم لاحقاً عندما اكتشفت شركة بريطانية «بريتش غاز» التي امتلكت حق التنقيب في بحر غزة حقلاً للغاز يبعد حوالي عشرين ميلاً عن المدينة وكان زعيم الفلسطينيين العائد قبل سنوات قليلة من المنفى في العام الأخير للألفية يفتتح حقل مارينا وقد اختلط عليه الفرح وهو يردد ثلاث مرات «الغاز الفلسطيني ..الغاز الفلسطيني ... الغاز الفلسطيني» بعد أن اعتاد على لازمة " ثورة حتى النصر " ثلاث مرات ، كانت لحظة نشوة حين حلق الرجل بحلمه الذي لم يكتمل معتبراً أن تلك واحدة من بوابات النصر والاستقلال الإقتصادي معتقداً أنه اطمأن على شعبه بانه لن يجوع بعد الآن .

حسب التقارير حينها كان يمكن للفلسطينيين أن يحصلوا على عائد بين ستة إلى سبعة مليارات دولار سنوياً لو بدأت حقول الغاز التي تم اكتشافها نهاية تسعينات القرن الماضي بالإنتاج وهذا الأمر لا يرتبط بإسرائيل ولو كان الامر بيدها لما سمحت بالتنقيب ولما أجازت عطاءاتها لكن أهمية ذلك الدخل لم يكن فقط في تأمين مستلزمات الطاقة وتخليها عن الإعتماد على اسرائيل وموانئها ومعابرها بل تعني استقلالاً اقتصادياً حين تتحول فلسطين إلى مصدرة للغاز بما يعزز من حضورها الدولي " الحضور والنفوذ القطري نموذجاً " ما كان يعني آنذاك تخفيف الإعتماد على الدول المانحة وتلك لها استحقاقاتها السياسية وانتهاء وما يرافقها من اشتراطات مرتبطة بتبعية مالية تفرض تبعيتها السياسية.

منعت الانتفاضة الثانية الفلسطينيين من التقدم في استغلال تلك الثروة التي وصفها عرفات بأنها «هبة الله لشعبنا» وكانت تلك الانتفاضة فرصة اسرائيل لإعاقة العمل بالمشروع حتى جاء أرئيل شارون عام 2001 رافضاً شراء الغاز من الفلسطينيين كأنه كان يعتبر أن هذا حق لإسرائيل كدولة احتلال حينها لم تكن اسرائيل قد اكتشفت حقول غاز قبالة سواحلها .

يعزو الدكتور مايكل تشودوفسكي كل السلوك الإسرائيلي تجاه غزة إلى مسألة الغاز وكل ما حصل سابقاً وربما هذا يعيد النظر للإنقسام الذي حصل بين الفلسطينيين وضمان ادامته وتدخل دولة مثل قطر المنتجة للغاز بإستمرار دعم حركة حماس التي تدير غزة بعيداً عن السلطة المعترف بها والمخولة بعقد اتفاقيات التنقيب والبيع وبقاء حكم الحركة الإسلامية في غزة وهي الحركة غير المعترف بها والتي تضمن عدم قدرة حركة حماس عقد اتفاقيات تجارية دولية لغياب مشروعيتها بل ضمان تبكيته أو ضمان تواجد البوارج الإسرائيلية لتحتل سواحل ومياه غزة أو بالأحرى لإحتلال حقول الغاز وإبقائها تحت السيطرة العسكرية ففي يناير عام 2008 أي بعد سيطرة حركة حماس على غزة وطردها للسلطة بستة أشهر كانت شركة «بريتش غاز» تغلق مكاتبها في تل أبيب مدركة أن هذا الحال سيتحول إلى دائم وأن اسرائيل ستحافظ على هذا الشكل من الإنقسام الفلسطيني لتمنع أي شكل من أشكال الإكتفاء الذاتي وإبقاء الفلسطينيين رهن التسول أو التوسل وتلك لها استحقاقاتها السياسية .

هل يمكن تفسير الزلازل العنيفة التي ضربت غزة من منظور الغاز كما يقول الدكتور تشودوفسكي؟ الإنتفاضة الثانية تقلب الطاولة وتستدعي البوارج الإسرائيلية لإحتلال البحر " التقارير تثبت أن اسرائيل كانت تتدرب على مواجهة الفلسطينيين قبل اندلاع الإنتفاضة بشهرين " ثم الصراع بين حركتي فتح وحماس الذي ينتهي بطرد الحركة الإسلامية للسلطة ما يعني تخزين الغاز واستمرار السيطرة الإسرائيلية على البحر ثم ما علاقة الحرب الحالية بالغاز وهل يمكن ربطها أو على الأقل ربط نتائجها ؟

لا يمكن فصل ما يقوله الرئيس الأميركي الذي اعتاد على الثرثرة عما يحدث في غزة وإذا كانت الحرب الدائرة في أوكرانيا التي يعتبرها ترامب أنها حرب بايدن وهي ما تطلبت ضمان استخراج الغاز في محاولة لتخفيض المداخيل الروسية التي تصب في الجهد الحربي الروسي الذي يعتمد على الغاز ويعيد ذلك للذاكرة اصرار ادارة بايدن على اتفاق الغاز بين اسرائيل ولبنان نهاية أكتوبر 2022لأنها كنت بحاجة لكل متر من الغاز وهو الذي لم يمس في الحرب الأخيرة بين حزب الله واسرائيل التي استمرت لاكثر من عام قبل أن تتوقف نهاية نوفمبر من العام الماضي .

عام 2000 اكتشفت شركة بريتش غاز البريطانية التي كانت قد حصلت على حق التنقيب في مياه المتوسط قبالة قطاع غزة حقلي غاز الأول مارينا 1 والذي يقع على بعد أكثر قليلاً من ثلاثين كيلومتر إلى الجنوب الغربي لمدينة غزة ويقع على عمق 603 أمتار تحت سطح البحر أما الحقل الآخر مارينا 2 الحدودي فهو أصغر ويمتد عبر الحدود الدولية الفاصلة بين المياه الإقليمية لقطاع غزة والمياه الإقليمية لإسرائيل حيث كان يشكل وقوعه على الحد الفاصل أزمة للفلسطينيين لإدراكهم حجم القوة الإسرائيلية وإمكانيات الإستخراج من الجهة الإسرائيلية وقدرتها على قمع وسيطرة جيشها على المنطقة الحدودية برياً وبحرياً .

منذ اليوم الأول للحرب طالب رئيس حكومة اسرائيل الفلسطينيين الذين يتواجدون شمال وادي غزة الذي يقسم القطاع إلى نصفين بإخلاء الشمال والنزوح جنوب الوادي ولأن حقول الغاز تقع قبالة النصف المطلوب اخلاؤه ما يعني سيطرة اسرائيل على حقول الغاز كان ذلك أمام اهتمام كثير من المراقبين والخبراء وقد عملت اسرائيل على تدمير كل ممكنات الحياة حتى لا يبق متّسعٌ للعيش في ذلك النصف الذي يقابل الثروة الهائلة في البحر وعندما لم يستجب مئات الآلاف من الفلسطينيين في الأشهر الأولى للحرب للإنتقال نحو الجنوب رغم السحق والدمار والترويع قامت بخلق مجاعة بلغت ذروتها في مارس 2024 وهو الشهر الذي أعلنت خلاله الولايات المتحدة عن اقامة رصيف بحري للمساعدات والذي لم يجر استخدامه ثم جرى تفكيكه وكانت مأساة المجاعة أشد وقعاً من القتل لأن ألم الجوع ممتد .

«غزة» بعد الحرب

بعد انتهاء هدنة يناير الماضي قامت اسرائيل من جديد بالسيطرة على شمال غزة الذي تجمع ساكنوه في مدينة غزة ثم بعد ذلك طلبت من سكان المدينة مغادرتها نحو الجنوب وقامت باجتياح المدينة في سبتمبر الماضي وكادت أن تُرَحِّل ما تبقى من السكان وتكمل سيطرتها وتحقق مشروعها الكبير عندما لم يتبق في المدينة ما يعادل مائتي ألف من أصل مليون وثلاثمائة ألف هم سكان الشمال لولا موافقة حركة حماس على خطة الرئيس الأميركي ترامب التي قطعت الطريق على استمرار اسرائيل بالحرب والتهجير .

لكن اسرائيل بعد خطة ترامب بقيت تسيطر على 53% من قطاع غزة والتي نصت الخطة على انسحابها منها بعد مفاوضات المرحلة الثانية والتي ترتبط بنجاح تفاصيل أخرى منها ما يتعلق بسلاح حماس وتجريدها منه أو موافقتها على ذلك وهو موضوع لا أحد يضمن نجاح تلك المفاوضات وبالتالي هي مقدمة لتواجد اسرائيلي دائم وهو ما سقط سابقاً من بعض المسؤولين الإسرائيليين منذ بداية الحرب وعلى رأسهم بنيامين نتنياهو بأن اسرائيل ستبقى مسيطرة على غزة إذ تشكل النسبة الكبيرة التي تحتفظ فيه اسرائيل في الأماكن الأكثر أهمية فالخط الشرقي يعتبر السلة الغذائية التي لا يمكن لقطاع غزة الحياة بدونها على الإطلاق حيث الشريط الزراعي يقع شرق شارع صلاح الدين لان المنطقة الغربية غرب الشارع هي مناطق سكنية وكذلك المنطقة الشمالية بالإضافة لأهميتها الغذائية حيث المياه الأفضل للقطاع والفواكه التي تنتج هناك بالإضافة للخضروات والفراولة التي تشتهر بها غزة وتصدرها تتم زراعتها وانتاجها في منطقة بيت لاهيا التي تقع تحت السيطرة لكن الاهم من ذلك أن حقل غاز مارينا 2 يقع قبالة تلك المنطقة ما يعني أنه إذا قررت اسرائيل إدامة السيطرة على بيت لاهيا بحجة أنها منطقة حدودية هذا يعني الإستيلاء على حقل الغاز الصغير أما الحقل الكبير مارينا 1 فالبوارج الإسرائيلية تحتله بكل الظروف ولنا أن تقدر أن اسرائيل التي بدأت تتحول إلى دولة مصدرة للغاز منذ حوالي العقد أن التقديرات تقول أن الآبار الإسرائيلية للغاز ستنضب بعد ثلاثين عاماً من بدء الإنتاج ...!

جاءت الحرب على غزة لتفتح على ما هو أبعد من الصراع الدائر منذ ثمانية عقود فإسرائيل لا تتصور في أسوأ كوابيسها أن الفلسطيني يصبح مصدراً للغاز وصاحب نفوذ اقليمي باعتباره يمتلك واحد من ممكنات القوة الإقتصادية في العالم ولا يتصور أن هذا الغاز الموجود على بعد كيلومترات قليلة من مناطق سيطرته على شعب آخر ممكن أن يتركه ليتصرف به الفلسطيني ويصنع نفوذه هنا جاءت الأحداث التي حولت الغاز الفلسطيني من نعمة إلى نقمة أو هكذا حوّله الإسرائيلي ليكون سبباً لمزيد من الاطماع في غزة بعد أن قرر في ثمانينات القرن الماضي أن يتخلى عن غزة لأن لا شيء يغريه في تلك المنطقة الفقيرة البائسة .

هنا جاء دور الأميركي فإدارة بايدن كانت تبحث عن كل سنتيمتر من الغاز وفرضت اتفاقاً في منطقة شهدت استعصاءاً لسنوات طويلة بين اسرائيل ولبنان ثم جاءت بعدها إدارة ترامب الرئيس التاجر القادم من عالم المال والأعمال والعقارات الذي يدير سياساته الخارجية فقط بالإعتبارات المالية والصفقات والأرباح ، جاءت وسط حرب إبادة يشنها الشريك الإسرائيلي على غزة التي تعتبر منطقة واعدة بالمعنى الإستثماري ويقوم الشريك بمسحها تماماً ما يؤهل لبدء مشاريع على اليابسة تضاف للإستثمار في المياه .

في اعتراف ترامب بـ «أن نتنياهو سينهي العمل في غزة وسنتسلمها منه» ما يشي بوضوح كيف تفكر الإدارة الاميركية والتي نصبت نفسها لرئاسة ما أسمته مجلس السلام لإدارة غزة أي ادراة إعادة الإعمار والشركات والاموال وإدارة الغاز.

وكان صهر ترامب جاريد كوشنير الذي ينهمك الآن بقوة في الملف بعد أن غاب بداية تشكيل الإدارة الجديدة حيث للحظة بدا أنه تم استبعاده يعود بقوة فيعلن أن لغزة شاطيء جميل ينبغي استثماره وهكذا تتقاطع الرؤى المحمولة على إبادة شعب الرؤيتان الإسرائيلية التي تقوم بالتطهير العرقي لتسلم الإدارة الأميركية غزة نظيفة لتبدأ مشاريعها فهل هذا يكفي لتفسير غزة من منظور الغاز؟ المتابعون منذ سنوات والمتخصصون في ملف الغاز يجيبون بـ «نعم»..!

انتخابات نيويوك.. ورياح التغيير على زعيمة المعسكر الغربي

... ونجح زهران ممداني واصبح عمدة نيويوك

لندن: أمين الغفاري*

السؤال هل نحن بالفعل امام نجم يتألق على منصات التواصل الاجتماعي، وينبئ بميلاد قيادة شابه تتحمل مسؤوليات من شأنها ان تترك بصمة على عجلة التاريخ ،أم انه لا يعدو ان يكون مجرد ومضه لا تؤثر ولا تصيب؟ انه شاب مسلم ومهاجر وديموقراطي ،ويساري ،ويثير حفيظة التقليديين .هو يقدم برنامجا يخاطب مشاكل الناس وقضاياهم الحقيقيه التي يعانون منها ولقد احدث زلزالا عنيفا بالفعل هز المجتمع الأمريكي، وداعب خيال الشباب واحلامهم في صناعة غد،قد يرسخ لمفاهيم العدل.

نعم احدث زلزالا عنيفا هز معاني الأنسانيه وتكافلها من الاعماق ،وخصوصا قواه التقليديه من رجال السلطه والمال ،حتى وان كانت وحدة الطبقه تجمع بينهم بوثاق من المصالح المشتركه. الأمرالذي دعا (ترامب)وهو الزعيم الحالي للولايات المتحده الأمريكيه، لأعلان تهديده صراحة للقيادة الجديدة لمدينة (نيويورك) العمده المنتخب (زهران ممداني) قائلا ومحذرا (لا تتحداني) وقد كان نجاح ترامب المدوى في الانتخابات طاغيا،وشديد التاثير في قراراته ،وكان ذلك صاحب الأثر في تلويحاته المستمره،وتهديداته التي لا تتوقف،ولا تنقطع،واصراره على تبني دعوات الاستقرار والسلام من خلال القوة، وضاربا عرض الحائط بوسائل السلام المتعارف عليها، وهي التفاهم والتفاوض حول القضايا المختلفة من خلال التوافق والتنازلات المشروعه، لخلق قدرمن التعادل بين الاطراف المتنازعه.

الرئيس الأمريكي بصفته رئيس دول كبرى، وصاحبة القوة الأعظم ،والذي سجل نجاحا ملحوظا في الانتخابات أصبح يتصرف كـ(ملك) يتخطى السلطه، والصلاحيات،مما استدعي انفجار العديد من المظاهرات ضد سياساته ،وكان ذلك مع عوامل أخرى قد تجمعت وصنعت شعبية المرشح الجديد للعمودية في نيويوك، وهي مدينة تعد من أغنى وأكبر المدن وتجمع بين مواطنيها مايقرب من 180 الف مليونير، و 140 مليارديرولذلك لا ننده من جزع وغضب (ترامب) من تصريحات (زهران ممداني) حول برنامجه الانتخابي فيتكلم عن المواصلات المجانيه وتجميد الايجارات، ومفاهيم العداله،والتركيز على الخدمات العامه، وما الى ذلك باعتبارها افكارا شيوعية. ونتذكر في هذه المناسبه ظاهرة اتسمت بها الولايات المتحده الأمريكيه في أواخر الاربعينات الى الخمسينات من القرن الماضي ،وهي حركة (المكارثيه) هي فترة اضطهاد سياسي في الولايات المتحدة ا،وقد اتسمت هذه الحركة باتهام أفراد بالشيوعية والخيانة بدون أدلة كافية، وقد ارتبطت هذه الحركة بالسيناتور (جوزيف مكارثي) الذي اتهم عدداً من موظفي الحكومة، مما أدى إلى تحقيقات واعتقالات وقائمة سوداء، وقد أثرت في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، بما في ذلك مجالات فنية مثل هوليوود عاصمة السينما في العالم، وقد أدت هذه الحملة إلى تداعيات قاسية على حياة الكثيرين، حيث تم اعتقالهم وتقديمهم للمحاكمة، وفقدانهم لوظائفهم، وتدمير سمعتهم. مما اثار الرأي العام بشده وتراجعت تبعا الى ذلك شعبية (مكارثي) بعد أن اتهمه البعض بالتجاوزات المفرطة، وتم توجيه لوم رسمي له من قبل مجلس الشيوخ الأمريكي عام 1954. لكن ترامب في اطار سياساته وتصريحاته المنطلقه، لا يبالي في التعبير عن خلجاته الطارئه، وان كان يتراجع في بعض الاحيان .

أضواء على عمدة نيويورك الجديد زهران كوامي ممداني

يرجع زُهران كوامي ممداني الى اصول هنديه مسلمه ،ولكنه ولد في (كمبالا) عاصمة (أوغندا) .ينحدر من أب،يعمل استاذا في جامعة كولومبيا للدراسات الأفريقيه والعلوم السياسية واسمه (محمود ممداني)، ووالدته فنانه تعمل مخرجة للأفلام الأميركية اسمها (ميرانايز)، وهي من أصول هندية.

ولد زهران ممداني في 18 اكتوبر 1991 ، وانتقلت أسرته إلى كيب تاون في جنوب إفريقيا عندما كان في الخامسة من عمره، ثم إلى الولايات المتحدة وهو في السابعة، حيث استقرت في مدينة نيويورك. تخرج في مدرسة برونكس الثانوية للعلوم وحصل على بكالوريوس في دراسات السود من كلية بودوين بولاية (مين) Maine وهي ولاية في شمال شرقي الولايات المتحدة الأمريكية عام 2014.

ـ عمل مستشارًا للإسكان قبل أن يدخل السياسة المحلية في نيويورك مديرًا لحملات انتخابية (روس باركان).ثم فاز في انتخابات عام 2020 بعضوية جمعية الولاية بعد هزيمته النائبة الديمقراطية المخضرمة(أرافيلًا سيموتاس) التي كانت تشغل المنصب لخمس فترات، وبصفته ممثلًا لحي أستوريا في كوينز، أُعيد انتخابه دون منافسة في 2022 و . 2024 والتحق بالحزب الديموقراطي الأمريكي ،كما انه عضو في حركة الأشتراكيين الديموقراطيين الأمركيه ،وهي حركه قريبه من الحزب، ولكنها ليست ضمن اركانه.

عوامل عديده ساهمت في نجاح زهران

أولا: وفي البداية لابد ان نشير الى تمتعه الذاتي بكاريزما لافته، مكنته من التأثير المباشر على ناخبيه ،كما انه في سرديته الأنتخابيه ،لم يتراجع في مقولة ولم يتناقض في حديث ،و كان وجها واحدا لا يتغير.وان كان يختلف مع ما تعود عليه الناخبون في الانتخابات السابقه ،ويمكن القول انه وجه الأخر من العمله مع ترامب ،ولكنها في جانبها الجماهيري .ترامب يمثل اقصى اليمين في اطروحاته ،وزهران هو اليسار في اعتداله .

ثانيا: تمكن (زهران) من القيام بادارة ناجحه لحملته الانتخابيه اعتمدت على برنامج يتجاوب مع تطلعات الناخبين ،وقد ظهر ان الرئيس الأسبق (اوباما) قد كلف المشرف على حملته الانتخابيه للرئاسة بالأشراف على الحملة الأنتخابيه لزهران في ترشحه لموقع عمدة نيويورك ،ثم عاد (اوباما) واتصل به بعد نجاحه في الانتخابات وعرض عليه ان يكون مستشارا له في موقعه الجديد (عمدة لندن).

ثالثا: وضح ان الانتخابات ليست السياسة، بتعريفاتها النظريه ،والرطانه في تعبيراتها، ولكن السياسة هي (الناس وقضاياها ومشاكلها) على الطبيعه .لذلك كان برنامج زهران، ومعاونيه وداعميه من الأجيال الشابه، وكان واضحا التفاف الشباب من حوله باعتبار تقارب السن، وتمتعهم برؤي جديده ،تختلف عن القضايا الدارجه ،وحاجته الى دماء جديده تخترق المواقع القيادية،وتتجه مع الأفكار الحديثه التى تخاطب مشاكل الناخبين.كان البرنامج الذي طرحه (زهران) يتواكب مع احتياجات الناخبين فقد تحدث عن العدالة الأجتماعيه، والتركيز على الخدمات العامه كالصحة ورعاية الاطفال، وسائل النقل ،ودعم حقوق العمال ،ورفع الحد الأدني للأجور، وتجميد الأيجارات، والرعاية الصحيه للاطفال وانشاء محلات جديده للتوزيع تستهدف الخدمة الحقيقيه للمجتمع، وقضايا التعليم فالقضايا الأجتماعيه التي تشكل السياسة الداخليه هي

زهران ممداني ... كان اكتساحه لافتا ومضيئا

الرئيس الاسبق اوباما...
عرض على زهران ان يكون مستشار له

الرئيس دونالد ترامب...
تصريحاته عالية الصوت مع نسبه في التراجع

الهاجس، الذي يهم المواطنين، وقد اثبت الشباب ان لهم مكانا ودوراً شديد الاهمية. وانهم اصبحوا يشكلون قاعده اساسيه، ورؤيه حيوية في الأعوام القادمه.

رابعا: كانت حرب غزة من العوامل الايجابيه في حملة (زهران) فقد انخرط الشباب ،كما شاهدنا في الجامعات ،وفي النوادي، وحتى في الأحزاب ،في الوقوف ضد الممارسات الأسرائيليه في عمليات الابادة الجماعية بالقصف والاغتيالات وحرب التجويع ،مما ساهم في ازدهار حركة التنوير وادراك الحقائق عن طبيعة المشكلة، ولذلك جاءت تصريحات (زهران) بالقبض على نتنياهو ان جاء الى نيويورك لكي تلهب حماس الشباب ،بل ان بعضا من الجاليه اليهودية قد ساهم بالتصويت لصالح (زهران) باعتبار ان نتنياهو قد اساء الى اليهود عامة بسياساته التي اتخذها ضد الفلسطينيين .

خامسا: ساهم (ترامب) من خلال هجومه على المرشح زهران ووصفه (أنه شيوعي) في ايجاد قدر من التعاطف مع زهران والاقبال على انتخابه.

سادسا : طرح زهران في حملته فكرة ان الاقتصاد لاينبغي ان يقتصر في خدمته للمجتمع ان يعمل فقط على خدمة من يتربعون على قمة الهرم،وان يدفع من هم دون تلك المرتبه الثمن،وهو مالفت نظر الناخبين فالتفوا من حوله باعتبارهم خارج الصندوق في الانتخابات الماضيه.

سابعا: زهران ممداني يطرح شعار (نيويورك مدينه للناس وليست مدينه للأغنياء)، وهو يعني بذلك انه يملك فكرا ولا يملك مالا .

ماهي الآفاق المحتمله لهذه الانتخابات ؟

أولا: هل يتأجج الصراع بين ترامب رئيس الجمهورية،وزهران عمدة نيويورك ؟ من المرجح ان يتم نوع من التراضي والوفاق بين القيادتين ،في محادثات تجري من وراء الستار، فترامب كرئيس للجمهورية في اطار نظام فيدرالي للحكم يملك بعض الصلاحيات حيث تتشارك الحكومة الفيدرالية المركزية مع حكومات الولايات الـ 50 في السلطة والسياده، ويمكنه بوسائل متعدده المساهمه في دعم بعض المطالب أو تيسيرها ،ويمكنه ايضا حجبها، وذلك بالطبع يمكن ان يعقد المشاكل امام العمدة الجديد ،ولا تتوفر له الفرصة الكامله لتحقيق برنامجه الانتخابي الذي تعهد به .بصرف النظر مما حدث في فترة الانتخابات ،وماقام به ترامب من البحث عن مرشح قوى يتصدى للمرشح (زهران)، وكانت صحيفة (نيويورك تايمز) قد ذكرت في تقرير قامت بنشره، أن ترامب قد أجرى مكالمه تليفونية مع المرشح (أندرو كومو) كما بحث مع مقربين منه عن المرشح الأنسب لهزيمة (زهران ممداني) سواء اريك آدامز أو كورتيس سيلوا ، ولكن في النهاية الذي حقق النجاح كان الاقوى هو)زهران ممداني). وصحيح ان (زهران) سئل عما اذا كان سيتحدث مع ترامب، خصوصا في حال ان اتصل به ليهنئه بالنجاح ،فقال (زهران) (سأقول له ما أقوله الآن. ان هذا ما يميزني عن غيرى .ان ما أقوله في الشارع ،أقوله ايضا في المؤتمر الصحفي ،كما أقوله كذلك في صباح اليوم التالي.

انها نفس الرسالة ،ونفس الأجنده ،وهي النضال من أجل الناس أنفسهم. وهي شجاعة لاشك فيها، ولكن هناك ايضا مسؤوليه اصبح يحملها مع نجاحه،فهل تملك تلك الشجاعه تأثيراتها على الواقع الذي اصبح يلمسه بيديه. انها خيارات مطروحه وايضا مسؤوليات استجدت ،كما هناك كذلك التزامات الكبرياء وصلابة الراي وهي اعتبارات لابد ان تتفاعل من خلال تجربه مازالت في اول الطريق مع مهام التنفيذ،ولذلك فالحكم مؤجل حتى يتبدد الضباب وتتضح مسالك الطريق .وعلينا ان نتذكر ان الديموقراطيه في الولايات المتحده تسيرالى الأمام ،فقد سمحت ان يتولى الملونون الحكم ،وتم انتخب (أوباما) رئيسا للولايات المتحده ،كما رشحت هيلاري كلينتون وكذلك رشحت (كمالا هاريس) وهما سيدتان ولم يكن ذلك مستحقا من قبل ،والآن يترشح مهاجر ومسلم وديموقراطي واشتراكي ويفوز (زهران) . وتحدثنا عن الماركسيه او الشيوعيه كمجرد اتهام في الماضي ،كان يقود للفصل ان لم يكن للسجن في عهد (مكارثي) بلا ادله ،ولكن الاتهام الآن لايثير ذعرا ،وانما يدعو للسخرية او للابتسام فحسب .لكن الديموقراطيه الآن تفتح ذراعيها وتهدد بالسخريه من يهددها بالألفاظ . ■

*كاتب وصحافي مصري

الاقتصاد العالمي 2026

نمو هشّ في عصر الحمائية المتصاعدة والتفكك الجيوسياسي

كتب المحرر الإقتصادي

مع اقتراب نهاية عام شهد «زلازل اقتصادية» متتالية، لم تقتصر على صدمات الطاقة والتضخم المستمر فحسب، بل امتدت لتشمل تحولات جذرية في موازين القوى الجيوسياسية والسياسات التجارية، يستعد العالم لاستقبال عام 2026 وهو على أعتاب مرحلة جديدة تتسم بالتقلب المفرط وعدم اليقين الهيكلي.

لقد كانت أبرز سمات العام 2025 هي التآكل المتسارع لمبادئ العولمة التي سادت لعقود، مما أدى إلى إحياء قوي لمفهوم الحمائية الاقتصادية. هذا التوجه، الذي تجسد بشكل واضح في تصاعد الإجراءات التجارية الانفرادية، وخصوصاً من قبل الولايات المتحدة في ظل الإدارة الثانية للرئيس دونالد ترامب، يهدد الآن بتحويل سلاسل الإمداد العالمية إلى ساحة صراع، ويدفع الاقتصاد الدولي نحو توازن أسوأ يتميز بضعف التجارة وارتفاع مستويات التضخم المصاحب لتباطؤ النمو.

وفقًا لآخر تقارير صندوق النقد الدولي الصادرة في أكتوبر (تشرين الأول) 2025، أظهر الاقتصاد العالمي في عام 2025 أداءً يتسم بالمرونة المحدودة وسط بيئة عالمية متقلبة، حيث من المتوقع أن يتباطأ النمو العالمي ليبلغ 3.2 في المائة في نهاية العام الجاري. وقد تم تعديل هذا التوقع صعودياً مقارنة بالتقديرات السابقة (في تقارير يوليو وأبريل)، مما يعكس الأداء الأفضل من المتوقع في النصف الأول من العام.

وفي ظل هذه التطورات، تصبح التوقعات لعام 2026 محفوفة بالحذر، حيث تتضاءل مكاسب المرونة الاقتصادية المستدامة أمام ثقل المخاطر الناجمة عن التجزئة الجيوسياسية واحتمالية السياسات الخاطئة التي قد تعمق الانقسامات وتعرقل التعافي العالمي المنشود.

لقد أثبت الاقتصاد العالمي قدرة على الصمود بعد جائحة كوفيد ـ 19، لكنه يواجه الآن تحديات هيكلية وسياسية تهدد استدامة النمو. ففي الوقت الذي تشير فيه توقعات حديثة إلى مراجعة تصاعدية طفيفة لآفاق النمو على المدى القريب، مدفوعة بمتانة بعض الاقتصادات الكبرى والاستثمار في التكنولوجيا، فإن التوقعات للعام 2026 تحمل حذراً عميقاً، إذ من المتوقع أن يتباطأ النمو العالمي إلى مستوى لا يزال دون الاتجاهات التاريخية.

التباطؤ الحذر

تجمع التقديرات الاقتصادية، بما في ذلك تلك الصادرة عن صندوق النقد الدولي في أحدث تقاريره، على أن عام 2026 سيشهد تباطؤاً في وتيرة النمو العالمي، حتى لو كانت التوقعات الأخيرة أكثر تفاؤلاً بقليل من التقديرات السابقة. وتشير توقعات الصندوق إلى أن النمو العالمي قد يستقر عند حوالي 3.1 في المائة في عام 2026، بعد النمو المتوقع بـ 3.2 في المائة في 2025. هذه الأرقام، على الرغم من أنها تعكس مرونة ملحوظة مقارنة بتوقعات سابقة أكثر تشاؤماً، إلا أنها تؤكد أن الاقتصاد العالمي يتحرك بأقل من سرعته المعتادة.

وفي المقابل، تتوقع وحدة «الإيكونوميست» أن يتباطأ النمو العالمي بشكل أكبر ليصل إلى 2.4 في المائة في عام 2026، وهو أدنى معدل نمو منذ الجائحة. يعكس هذا التباين في الأرقام بين المؤسستين اختلافاً في تقييم الآثار طويلة المدى لعدم اليقين في السياسات.

أما على الصعيد الإقليمي، فيتوقع صندوق النقد الدولي أن ينمو الاقتصاد الأميركي بـ 2.1 في المائة في 2026، مدعوماً بالاستثمار القوي في الذكاء الاصطناعي، لكن هذا الزخم قد يتأثر سلباً بالظروف التضخمية الناتجة عن التعريفات.

وفي المقابل، يواجه اقتصاد منطقة اليورو تباطؤًا، بينما قد تشهد الصين نمواً أبطأ، متأثرة بالتوترات التجارية وضعف قطاع العقارات، رغم الجهود الحكومية لتوجيه الاقتصاد نحو الاستهلاك الخاص.

أما اقتصادات الأسواق الصاعدة والنامية، فيتوقع أن تسجل نمواً أعلى بقليل من 4 في المائة، ولكنها تظل عرضة لارتفاع تكاليف الاقتراض وضعف الطلب العالمي على السلع.

حمائية ترامب

تُعد عودة الحمائية التجارية الأميركية في ظل الإدارة الثانية للرئيس دونالد ترامب المحور الأبرز في رسم ملامح المشهد الاقتصادي لعام 2026. فالتطبيق غير المتوقع للتعريفات الجمركية، التي ارتفعت إلى مستويات لم تُشهد في العصر الحديث، يخلق صدمة سلبية على العرض ويُغذي حالة من عدم اليقين في السياسات تضر بالاستثمار العالمي.

يُقر صندوق النقد الدولي بوجود مرونة في الاقتصاد العالمي أمام الصدمة التجارية، ويعزو ذلك إلى الامتناع عن الرد الانتقامي من قبل الشركاء التجاريين، والاتفاقيات الثنائية التي قدمت إعفاءات جزئية، وسرعة الشركات في إعادة توجيه سلاسل الإمداد والاستيراد المسبق للبضائع قبل سريان الرسوم. ولكن الصندوق يحذر من أن التأثير الكامل للتعريفات لا يزال في مراحله الأولى، وأن أي تصعيد إضافي في التوترات التجارية، لا سيما بين الولايات المتحدة والصين، يمكن أن يخفض الناتج العالمي بشكل ملموس في 2026، خاصة مع انحسار تأثيرات «الاستيراد المسبق» التي دعمت التجارة مؤقتاً في 2025.

وترى «الإيكونوميست» من جهتها، أن هذه السياسات تدفع الاقتصاد العالمي نحو توازن أسوأ، حيث ستؤدي إلى اضطرابات تجارية أشد، وتباطؤ في التجارة العالمية للسلع، مما يضر بالبلدان الأكثر ارتباطاً بالطلب الأميركي. إن الاستقطاب الجيوسياسي والاقتصادي الناجم عن سعي الولايات المتحدة لإعادة التوازن في علاقاتها الاقتصادية والأمنية يهدّد بتفكيك التحالفات التقليدية ويدفع عجلة إعادة الاصطفاف الاقتصادي العالمي.

تخلق البيئة الحالية تحديات جمة أمام المصارف المركزية وصناع السياسات النقدية. فرغم أن التوقعات تشير إلى استمرار انخفاض أسعار الفائدة قصيرة الأجل عالمياً، خاصة مع قرب انتهاء دورات التشديد النقدي في أوروبا وأميركا اللاتينية وآسيا، إلا أن الاحتياطي الفيدرالي الأميركي لا يزال يواجه طريقاً وعراً.

يُتوقع أن يخفض الفيدرالي أسعار الفائدة بـ 50 نقطة أساس في 2026 بعد تخفيضات مماثلة في 2025، لكن هذا التخفيف لن يكون سهلاً. إذ أن التطبيق غير المتوقع للتعريفات الأميركية يجعل من الصعب على البنوك المركزية فك شفرة اتجاهات التضخم، نظراً لأن التعريفات الجمركية تمثل صدمة عرض سلبية تدفع أسعار السلع الصاعدة إلى الارتفاع، مما يساهم في ظهور ظروف تضخمية ركودية في الولايات المتحدة. ويحذر صندوق النقد الدولي من أن التضخم الأميركي قد يبقى فوق الهدف، مع ترجيح المخاطر نحو الارتفاع.

كما يبرز خطر سياسي كبير يتمثل في محاولات إدارة ترامب للمساس باستقلالية الاحتياطي الفيدرالي، الأمر الذي من شأنه أن يزعزع الأسواق المالية ويزيد من تكاليف الاقتراض.

إلى جانب عدم اليقين في السياسة التجارية، تظل المخاطر الجيوسياسية عاملاً رئيسياً في تحديد آفاق 2026. ومن المتوقع أن يكون صراع المخاطر والمجابهات الجيوسياسية سمة أساسية للمشهد العالمي، مما سيساهم في استمرار علاوات المخاطر المرتفعة واحتمالية صدمات أسعار السلع الأساسية. فرغم الجهود المبذولة، من المتوقع أن تستمر حرب أوكرانيا، مع ترجيح بسيط لاحتمال التوصل إلى اتفاق هش ينهي المرحلة الحركية من الصراع.

وفي المقابل، يبرز الاستثمار في الذكاء الاصطناعي كأحد الفرص السانحة ومحرك أساسي للنمو، لا سيما في الولايات المتحدة، حيث يمثل دعامة حيوية للنمو في مواجهة التباطؤ في قطاعات أخرى.

وفيما يشير صندوق النقد الدولي إلى أن طفرة الذكاء الاصطناعي تشبه إلى حد ما طفرة الإنترنت في التسعينات، فإنها تمثل خطراً مزدوجاً: فإما أن تدفع أسعار الفائدة الحقيقية للارتفاع وتتطلب تشديداً نقدياً، أو أن تفشل في تبرير التوقعات العالية للأرباح، مما قد يتسبب في تصحيح حاد في الأسواق المالية يؤثر على الاستهلاك والاستقرار المالي.

في ظل هذه البيئة المتقلبة، التي تتسم بتنافر بين النمو المدعوم بالذكاء الاصطناعي والديون العالمية المتصاعدة – التي يتوقع صندوق النقد الدولي أن تصل نسبتها إلى 96.8 في المائة من الناتج العالمي الإجمالي في 2026 – تبرز الحاجة الملحة إلى استعادة الثقة والاستدامة المالية.

ويُشدد صندوق النقد الدولي على ضرورة أن يركز صناع السياسات على:

-1 السياسة النقدية: الحفاظ على استقلالية البنوك المركزية والتركيز على استقرار الأسعار في وجه ضبابية التضخم.

-2 السياسة المالية: تنفيذ ضبط مالي موثوق به على المدى المتوسط لإعادة بناء الهوامش المالية، لا سيما أن العديد من الاقتصادات الكبرى تواجه ضغوطًا متزايدة بسبب ارتفاع الدين.

-3 الإصلاحات الهيكلية: مضاعفة الجهود لإحياء نمو الإنتاجية، وتفادي التجزئة، وتعزيز التعاون متعدد الأطراف لضمان استقرار النظام التجاري العالمي.

الأسواق المالية في 2026

تنعكس بيئة الاقتصاد العالمي المتقلبة والمحفوفة بالمخاطر الجيوسياسية والحمائية التجارية بشكل مباشر على الأسواق المالية العالمية، مما يؤدي إلى استمرار ارتفاع علاوات المخاطر في عام 2026. ففي ظل عدم اليقين العميق في السياسات التجارية الأميركية وتأثيرها المربك على تدفقات التجارة وسلاسل القيمة، تجد الأسواق صعوبة بالغة في تسعير الأصول بدقة، مما يزيد من تقلبات السوق.

كما أن التضخم الناجم عن التعريفات الجمركية يخلق حالة من الغموض حول مسار السياسة النقدية الأميركية؛ فإذا اضطر الاحتياطي الفيدرالي إلى الإبقاء على أسعار الفائدة مرتفعة لفترة أطول لمواجهة هذا التضخم المستورد، فإن ذلك يرفع تكلفة الاقتراض عالمياً، ويضغط على تقييمات الأسهم ويزيد من مخاطر الديون السيادية للأسواق الناشئة.

إضافة إلى ذلك، فإن الاستقطاب الجيوسياسي يُبقي على احتمالية صدمات أسعار السلع الأساسية، مما يهدد هوامش ربح الشركات ويغذي التقلب في الأسهم والسندات المرتبطة بالمواد الخام.

بينما قد تشهد الأسهم المرتبطة بقطاع الذكاء الاصطناعي استمراراً في ارتفاع التقييمات، رغم التحذيرات من خطر حدوث تصحيح حاد في حال لم تتحقق التوقعات الطموحة للأرباح.

الرسوم الجمركية رسمت مشهداً اقتصادياً جديداً

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

التخطيط الاستراتيجي وتطويع المستقبل وصناعته

لتحديد مفهوم التخطيط عموما، ذهبت الآراء باتجاهات متعددة. وبغض النظر عن تلك التي أدركته بدالة مجردة كالقول مثلا أنه: «أسلوب للتفكير المنظم»، تلتقي العديد من الآراء الأخرى على بعده المستقبلي. فمثلا قيل أنه: «ما يجب عمله اليوم لتحقيق ثمة شيء منشود في المستقبل»، أو هو «التفكير في المستقبل والاستعداد له» ، أو هو «التدبر الذي يرمي إلى مواجهة المستقبل بخطط منظمة سلفا لتحقيق أهداف محددة منشودة. وعلى الرغم من هذه التعددية في هذه الرؤى، إلا ان التخطيط يتميز بخصائص ينفرد بها»، ومثالها الآتي، فهو:

أولا، يقترن بعملية محددة قوامها التدبر الرامي إلى مواجهة المستقبل عبر خطة (أو خطط) محددة سلفا لتحقيق هدف مرغوب فيه أومجموعة أهداف مرغوب فيها. لذا يُعد وسيلة وليس غاية بحد ذاته.

ثانيا، ارتباطه بعملية اتخاذ القرار ارتباطا وثيقا. ففي الوقت الذي تنحصر وظيفة التخطيط في بلورة سياسات مناسبة تحقيقا لأهداف محددة، تنصب مهمة اتخاذ القرار على المفاضلة الدقيقة بين عدد من البدائل التي تتمتع بقيمة واحدة او متقاربة سبيلا لاختيار ذلك البديل (بمعنى تلك السياسة) الأكثر قدرة على تحقيق الهدف المنشود بأقل الخسائر المقبولة. وعلى الرغم من أن التخطيط يقترن بأنواع متعددة تنبع من فكرة واحدة قوامها التدبر المسبق، إلا أن التخطيط الإستراتيجي يتماهى وهذه الانواع، ويختلف عنها في أن.

فهو يتماهى واياها من حيث المفهوم. فالتخطيط الاستراتيجي يقترن بذلك النمط من التفكير العقلاني والابداعي الذي يرمي إلى تطويع المستقبل من خلال الاستعداد المسبق خدمة لهدف منشود، أو اهداف منشودة، عبر أدوات تنفيذية مؤثرة. وبهذا المعنى هو يقدم اجابة لسؤال مركب: ماذا نريد ان يتحقق في أحد أزمنة المستقبل، وما السبل الموضوعية لذلك؟

وهو يختلف عنها في بعده الزماني. إذ يمتد أمده أما إلى زمان المستقبل المتوسط : عقدان من زمان محدد، و/أو إلى زمان المستقبل البعيد الممتد إلى خمسين عاماً، و/أو إلى زمان المستقبل غير المنظور الممتد إلى ما بعد خمسة عقود. ومرد هذا الامتداد الزماني يكمن في اقتران التخطيط الاستراتيجي بالسعي إلى أحداث تغيير جوهري في الواقع الذي يتعامل معه. وغني عن البيان أن تحقيق مثل هذا التغيير يحتاج إلى زمان أطول في العموم من زمان المستقبل المباشر: عامان، وكذلك من زمان المستقبل القريب: خمسة أعوام. بيد أن هذا القول لا يلغي أهمية التخطيط لمستقبلات هذه الازمنة ولاسيما القريب منها. فمخرجاته، في حاله نجاحها ، تؤسس الأرضية الملائمة لتحقيق اهداف التخطيط للمستقبل متوسط الزمان. والشيء ذاته بالنسبة للعلاقة بين هذا التخطيط والتخطيط للأزمنة اللاحقة . ولنتذكر أن بناء المستقبل المنشود لا يتحقق دفعة واحدة، وإنما على وفق مراحل زمانية متعاقبة ونجاحات متراكمة.

والتخطيط الاستراتيجي، كأداة لتطويع المستقبل ابتداء من الحاضر، ينبني على ركيزتين أساسيتين ومتفاعلتين: هما الاستشراف العلمي، توافر شروط التخطيط الفاعل.

فأما عن الاستشراف العلمي، فهو يقترن بذلك الجهد العلمي الرامي إلى الكشف عن المشاهد الممكنة و/أو المحتملة للمستقبل انطلاقا من معطيات الواقع. وغني عن البيان أن دقة الاستشراف تعد شرطا مهما لنجاح عملية التخطيط بأنواعه. ولا يلغي هذا الشرط احتمال اقتران الاستشراف بقدر من الخطأ. ولنتذكر أن استشراف مستقبلات الظواهر الاجتماعية يختلف عن استشراف مستقبلات الظواهر الطبيعية. هذا لآن الثانية أقل تأثرا بعملية التغيير من الأولى. ومع ذلك، نرى أن يتوافر المرء على صورة للمستقبل، حتى وأن كانت ناقصة مرحليا، أفضل من ألا يتوافر على أية صورة أصلا. فالصورة غير المتكاملة تتكامل تدريجيا مع مرور الزمان.

وأما عن توافر شروط التخطيط الفاعل، فهو يفيد أن توافر المخطط الإستراتيجي على قدرة صياغة الأهداف المنشودة واختيار أدوات التنفيذ، وعلى نحو موضوعي، لا يعد، مع أهميته، كافيا بحد ذاته. فهذه القدرة لكي تضحى فاعلة ومؤثرة، فلابد أن تدعمها ثمة متطلبات/ شروط/ سائدة. وفي ادناه سنتناول ثلاث منها ، وكالاتي:

أولا: دقة التبصر في المتغيرات المؤثرة في مخرجات التخطيط الاستراتيجي

لا ينكر المستقبليون تأثير حقائق الماضي ومعطيات الحاضر في تشكيل مشاهد المستقبل. بيد أن جلهم يرى أن المستقبل لا يتشكل على وفق مجموعة محددة من المتغيرات ولاسيما التي تفضي مخرجاتها إلى بلورة تلك الاتجاهات الممتدة من الماضي إلى الحاضر فقط، وإنما أيضا تلك المتغيرات التي تفضي حصيلتها إلى انفتاح المستقبل على مشاهد متعددة ومتنوعة. ومن بينها تلك المتغيرات غير المرئية، في زمان الحاضر ، والتي يفضي تبلورها لاحقا إلى إحداث تأثير مهم في تشكيل مشاهد المستقبل.

ولعل من بين أبرز المتطلبات المهمة لإنجاز تخطيط استراتيجي ناجح ضرورة توافر القدرة المكتسبة على التبصر بهذه المتغيرات ومخرجاتها، ومن ثم المشاهد المتعددة الناجمة عنها.

وخلافا للماضي والحاضر، اللذان تتوافر عنهما معلومات كافية تسهل دقة دراسة ما كان وما هو كائن، تنتفي مثل هذه الخاصية عن المستقبل. صحيح أن تأثير نقص المعرفة ذات العلاقة بالمستقبل لم يعد بتلك الحدة السابقة. بيد أن ذلك لا يلغي أن استشراف دقيق للمستقبل ، يبقى على قدر من الصعوبة الكامنة. لذا لم يؤد تقليد الاستعانة بمقاربات منهجية متعددة واليات متنوعة لأغراض جمع البيانات، وتوليد الافكار، وربط الجزئيات في كل متكامل، فضلا عن ضمان الاتساق الداخلي لمجمل عملية الاستشراف، دون أن يتكرر القول: أن الجهد الرامي إلى استشراف مشاهد المستقبل... «يمكن أن يكون قليل الدقة أو خاطئا». أي فاشلا.

ولا نرى غرابة في تكرار مثل هذا القول. فمخرجات نقص المعلومات، و/ أو سوء التوظيف للمقاربة المنهجية المستخدمة، و/أو عدم أخذ متغيرات مهمة بالحسبان كلها وغيرها ايضا تحول دون استشراف يتميز بالدقة شبه المطلقة. وهنا يستوي مثلا الإنسان المستقبلي والطبيب. فعلى وفق نوعية معرفتهما وكفاءتهما، يتحدد نجاحهما أو فشلهما. فكما أن الحاجة للطبيب تبقى مستمرة، والتي لا يلغيها عدم كفاءة تشخيص بعض الاطباء، كذلك ينسحب الشيء ذاته على الانسان المستقبلي ودراساته. فعدم دقة بعضها، بل وحتى فشلها، لا يلغي الحاجة اليها. فمعطيات عالمنا الراهن، بفرصه وكوابحه، تفرض ديمومة هذه الحاجة.

ومع ذلك، ينطوي عدم الدقة و/أو حتى الفشل، على فائدة، هذا لدوره في إنارة الطريق باتجاه الافضل بشرط التعلم من أسباب الفشل والاستفادة منها. وبهذا الصدد، قال مثلا المستقبلي الأمريكي الرائد، ألفين توفلر: «في معالجة أمور المستقبل...لا تحتاج الرؤى إلى أن تكون في غاية الدقة لتكون مفيدة ...(فحتى) الاخطاء لها فوائدها. إن الخرائط التي تم رسمها للعالم في العصور الوسطى كانت أبعد ما تكون عن الدقة، وكانت مليئة بالأخطاء ...ولكن من دونها لم يكن من الممكن لعظماء المكتشفين أن يكتشفوا الدنيا، بل لم يكن من الممكن أن تُرسم الخرائط الحديثة والاكثر دقة».

ثانيا: قدرة التوظيف المتوازن بين الموضوعية والذاتية

علميا، تقوم بين أنماط السلوك الإنساني ونوعية رؤية الإنسان للواقع الداخلي و/أو الخارجي السائد، علاقة طردية قد تكون إيجابية أو سلبية. ويرى أستاذ السياسة الدولية، (كي. جي. هولستي) K.J.Holsti، أن هذه الرؤية تُعد حصيلة «لنوعية إدراك الإنسان لشيء ما يفرزه الواقع السائد، فضلا عن التقييم المعطى له، والمعنى المستخلص منه». وتبعا لذلك قد تكون هذه الرؤية أما موضوعية، أو ذاتية.

فالرؤية تضحى موضوعية، عندما يعمد الإنسان إلى إدراك معطيات الواقع كما هي عليه دون أن يشوب هذا الإدراك أهواء أو مصالح أو تحيزات. وهي تصير ذاتية، عندما يتجرد الإنسان من تأثير العقل، رائدا وضابطا وحاكما، ويسحب، بالتالي، ما يتمناه و/أو يتخيله و/أو يتأثر به ذاتيا على المعطيات السائدة في الواقع، ومن ثم يعمد إلى إدراكها على نحوٍ لا يستوي ومعطياتها الموضوعية. وبهذا الصدد يؤكد المستقبلي العربي الرائد، قسطنطين زريق، أن الإسراف في الذاتية يلغي «...العقلية الضرورية لإعداد المستقبل وأيضا لبقائه وازدهاره».

والافتراض أن الإنسان يكون أما موضوعيا أو ذاتيا على نحوٍ مطلق، هو افتراض تبسيطي في الاقل. فالموضوعية والذاتية أمران نسبيان بالضرورة. فبالإضافة إلى أن الإنسان يتأثر، في العموم، بمتغيرات موضوعية، إلا أنه، يتأثر ايضا بمتغيرات ذاتية و/أو نفسية مهمة، ومثالها سمات شخصيته، و/أو المكونات الفلسفية والأدائية لنظامه العقيدي، و/أو تجاربه الشخصية السابقة. بيد أن نوعية تأثير كل من الموضوعية والذاتية يتباين من حالة إلى أخرى. فتبعا لتأثير نوعية إدراك الإنسان في تحديد أنماط سلوكه، قد يضحي الإنسان الموضوعي في أحيان، إنسانا ذاتيا. وبالمقابل قد يتحول الإنسان الذاتي في أحيان أخرى إلى إنسان موضوعي.

واتساقا مع ما تقدم، تتباين الرؤى في شأن مدى موضوعية أو ذاتية استشراف المستقبلات. فمن ناحية يرى مستقبليون أن الاخذ بالموضوعية يُعد شرطا لازما. إذ بدونها يتعذر الاستقراء الدقيق لتأثير تلك المتغيرات التي تشكل المستقبل، ومن ثم توليد المعرفة العلمية، التي تُساعد على استشراف مشاهده البديلة. ولهذا يتم التأكيد على ضرورة استخدام المقاربات الكمية، هذا لان إجراءاتها التقنية تحول دون أن يكون تأثير المتغيرات الذاتية في مخرجات عملية الاستشراف فاعلا.

وبالمقابل، تؤكد أراء أخرى أن الموضوعية المطلقة عسيرة التطبيق، وهو الامر الذي ينسحب أيضا على استشراف المستقبلات. فإضافة إلى أن هذا الاستشراف يتأثر بمتغيرات نفسية مؤثرة ذات علاقة بشخصية القائم أو القائمين بها، هي ايضا دراسات معيارية/استهدافية تتخذ من المقاربات الكيفية سبيلا لاستشراف مشاهد المستقبل بأنواعها.

وإدراكا منهم لتأثير إشكالية الموضوعية /الذاتية في استشراف المستقبلات ، يذهب مستقبليون إلى الاخذ في دراساتهم بحل وسط يتمثل في حصر مشاهد المستقبل بين أقصى ما يتعارض مع تفضيلاتهم، وبين أدنى ما يتوافق واياها. ونحن نرى أن هذا الحل التوفيقي يُعد مجديا أيضا بالنسبة لتوظيف التخطيط الاستراتيجي سبيلا لتطويع المستقبل ، سيما وإن هذا الحل يؤكد الحاجة إلى الاخذ بالموضوعية، ولا ينكر، في الوقت ذاته، تأثير المتغيرات الذاتية والتفضيلات القيمية في مدركات، من ثم في انماط سلوك صانع/ صناع/ القرار.

ثالثا: توافر قاعدة بيانات ومعلومات رصينة

على خلاف الماضي والحاضر الذين تتوافر عنهما معرفة يقينيّة كافية تتيح دراستهما بكفاءة، يتفق الرأي على أن المستقبل كزمان لم يحل بعد، يفتقر في حاضر الزمان لمثل هذه المعرفة. ومع ذلك، لم يحل هذا الواقع دون استمرار استشراف مشاهد المستقبل وعلى شتى الصعد. ومما ساعد على ذلك توظيف أليات مهمة: ولعل من بين أبرزها، توظيف مخرجات التطور المتسارع في تكنولوجيا المعلومات.

لقد أفضت هذه المخرجات إلى أن تتميز العديد من المجتمعات، ولاسيما مجتمعات المعرفة، بسهولة الوصول إلى المعلومات، وتخزينها، ومعالجتها، واسترجاعها. كما أن استخدامها، لأغراض البحث العلمي سواء أكان أساسيا أم تطبيقيا، صار أكثر سهولة. فإضافة إلى أن المعرفة صارت تتضاعف كل 18 شهرا، أضحت الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت) تتيح مجموعة فرص غير مسبوقة لم تؤد إلى جعل القيود المفروضة على تداول المعلومات، في عدد من الدول، لا قيمة لها عمليا، وإنما ايضا إلى أن تتأسس قواعد معلومات متعددة ومتنوعة جعلت فجوة المعلومات أضيق نطاقا الان مما كانت عليه في سابق الزمان. ناهيك عن أن عملية توليد المعرفة صارت اليوم غير مسبوقة في سرعتها. وربما من هنا قال، الفين توفلر، أن توافر المعرفة صارت، «أكثر مصادر السلطة ديمقراطية على الإطلاق (سيما وإنها) ...يمكن أن تكون متوفرة للضعفاء والفقراء كذلك. وهذه حقا ميزة ثورية من مزاياها».

وعلى الرغم من هذه الإيجابية المهمة، إلا أن تعدد وتنوع المتغيرات التي تفرزها عملية تغيير العالم أضحت تتطلب بناء قاعدة رصينة من المعلومات والبيانات تتميز بخصائص نوعية، والانطلاق منها سبيلا لتحديد مجموعة المتغيرات الاكثر تأثيرا في موضوع الاهتمام، وبضمنه التخطيط الاستراتيجي. ولهذا الغرض تعد أداة اجراء مسح ميداني شامل لحاضر موضوع الاهتمام، فضلا عن اداة تعدين البيانات Data Mining ,أبرز الادوات التي يمكن استخدامها لهذا الغرض. وبهذه الاداة يُقصد «البحث عن تلك المتغيرات ذات العلاقة ببعض، والتي تجمعها خصائص وسمات مشتركة، ويربطها وحدة الموضوع أو التخصص من بين كم كبير جدا من المعلومات التي لا تربطها علاقة أو وحدة موضوعية».

وعلى الرغم من الاهمية التي تكتسبها كمية ونوعية المعرفة على صعد الحياة ، إلا أن تفاعلها مع قدر من الخيال يجعل فائدتها أعم وأشمل. ولنتذكر أن العلم والخيال عندما يتفاعلان إيجابا، فأن محصلتهما تفضي، على الارجح، إلى تصور مشاهد المستقبل تصورا ابداعيا ومبتكرا وشاملا. والى ذلك يقول المستقبلي الامريكي بيتر بيشوب: «إن تفاعل العلم والخيال يجعل من هذه المشاهد مختلفة نوعيا عن تلك التي تتأسس على إحداهما فقط».

غني عن البيان أن تطويع المستقبل وصناعته هو مطلب لا ينال بالتمني وإنما بالاستعداد المسبق، الذي يعد التخطيط الإستراتيجي أحد أهم اركانه الأساسية. ومن هنا تنبع العلاقة الوطيدة بين التخطيط الإستراتيجي وصناعة المستقبل. وعندنا تُعبر هذه العلاقة عن اتجاهين اساسين : فهي، أولا، قد تكون طردية موجبة، بمعنى أن التخطيط الاستراتيجي عندما يكون أساسه علميا، فأنه يؤدي إلى دعم القدرة على صناعة المستقبل بمدخل مهم مضا ف. بيد أن هذه العلاقة قد تكون، ثانيا، عكسية سالبة، وبدالة أن انتفاء التخطيط الدقيق يفضي إلى أن يصير التفاعل مع معطيات الحياة عشوائيا، وعلى نحو يتماهى مع صيغة غير مجدية، هي الإدارة عبر إطفاء الحرائق. لذا لنجعل من التخطيط الإستراتيجي العلمي، المدعوم برؤية ثاقبة وإرادة صلبة واعية، بمثابة الاساس لأنماط سلوكنا الهادفة . ■

---

*استاذ العلوم السياسية الدولية ودراسات المستقبلات

كلٌّ مقامٍ ...

الأدب بين ضوضاء السوق وهمس الوعي:
أين اختفى المثقف؟

سؤالان إشكاليّان يُطرحان في الزمن الراهن: أين يكمن حضور المثقّف الذي كان يومًا "ضمير" أمته؟ وما مدى تأثير الأدب والشّعر اليوم، وهما في جوهرهما، شهادة حيّة على الوجود الإنساني؟

قد يبدو للوهلة الأولى أن تأثير الأدب قد تضاءل، في زمن يهيمن عليه الإيقاع السريع و«الوجيز» من المحتوى الرقمي. وأن الرواية والشعر تراجعا أمام سطوة الـ «نيو ميديا» المتمثلة في ثورة رقمية تكاد تطيح جميع المفاهيم التقليدية. غير أن الحقيقة أكثر تعقيدًا، لأن الأدب لم يتقلّص، ولكن حضوره تبدّل في أشكال حديثة.

كان الشعر في السابق، حامل الرسالة الكبرى وحارس الوجدان. أما اليوم، فقد ورثت الرواية والقصة القصيرة معظم أعباء «التصريح» و«التحليل»، لتصبحا مرآة عاكسة للواقع ومشاكله الاجتماعية والسياسية. الأدب، في شكله الجديد، لا يزال يقاوم الجهل، ويطالب بالعدل، ويحفظ ضمير الشعوب. الشاعر أمل دنقل، على سبيل المثال، يظل صرخة شعرية تذكّرنا بأن «لا تُصالحْ ولو منحوك الذهبْ... هي أشياء لا تُشترى».

يظل التحدي الأكبر في حضور المثقف، وليس في الأدب نفسه. فالمثقف، الذي يُعرّف بأنه الشخص الذي يمتلك فكرًا ناقدًا ويهتم بقضايا المصير العام، يواجه اليوم أزمة وجودية. لقد تراجع المثقف الحقيقي الذي يفرض "حرفاً" يحمل "لكن" الاعتراض والنقد، ليحل محلّه سيلٌ من "المؤثرين" الذين ينتجون «الوجيز» لثقافة استهلاكية فورية.

إدوارد سعيد يحدد الدور بوضوح: «المثقف هو شخص مُلتزم بمسائلة الأوهام والتعميمات التي تريح الجمهور والمسؤولين. هو شخص لا يترك نفسه ليُمتص بسهولة في أي نمط من أنماط السهولة أو السكينة». هذا الالتزام بالنقد هو ما يضعه في مواجهة دائمة مع الواقع والسلطة.

أما الأديب الطيب صالح فيرى أن المثقف هو جزء أصيل من النسيج: «إذا كان بلده مريضاً، فالمثقف هو الذي يجب أن يحمل المشرط لعملية التشخيص الصعبة، لا أن يكتفي بالعزاء والتجميل».

وفي سياق الحرية، يؤكد أدونيس: «الحرية بالنسبة للمثقف هي أن لا يبيع صوته ولا ضميره لأي سلطة دينية كانت أو سياسية أو اجتماعية. وإلا تحوّل إلى مُوظف للواقع».

على الرغم من تراجع المنبر التقليدي، يظلّ الأدب أداة أساسية في عملية التغيير الحضاري. إنه يراكم الوعي، ويوفّر المخزون الفكري والروحي اللازم للصمود، خاصة عندما يواجه الإنسان أسوأ اللحظات بمفرده. الأدب، في النهاية، هو الذي يمنح الفرد شعوراً بأنه ليس وحيداً في مأساته، وهو الذي يشعل جذوة التساؤل التي تبدأ بها كل ثورة. ربما يكون حضور الأدب والشعر أقل صخبًا في فضاءات الإعلان والسرعة، لكنه يظل حيويًا وضروريًا، لأنه بمثابة الجذور التي لا يراها أحد تحت التراب، لكنها هي ما يُبقي الأشجار الباسقة قائمة. لتبقى «مهمة المثقف الجوهرية هي إقلاق السكون الفكري، والعمل على تخليص العقول من الأوهام التي ورثتها». كما يقول عبد الله العروي، إنها دعوة للتفكير لا للاتباع. ■

ماجدة

دبي تستضيف مؤتمر «أيكوم» الدولي لبحث مستقبل المتاحف

■ استضافت مدينة دبي، ولأول مرة في منطقة الشرق الأوسط، فعاليات المؤتمر الدولي للمجلس الدولي للمتاحف (ICOM)، المعروف باسم «أيكوم دبي 2025»، والذي عُقد تحت شعار «مستقبل المتاحف في مجتمعات سريعة التغيير». وجاء اختيار دبي لاستضافة هذا الحدث تأكيداً على مكانتها المتنامية كمركز ثقافي عالمي. وقد جمع المؤتمر، الذي استمر لأربعة أيام في منتصف تشرين الثاني/نوفمبر، أكثر من 1500 خبير ومسؤول متحفي وأكاديمي من مختلف أنحاء العالم لمناقشة التحديات والفرص التي تواجه المؤسسات المتحفية في ظل الثورة التكنولوجية وتغير أنماط الجمهور.

وركّزت الجلسات والمناقشات على محاور رئيسية، أهمها: دور المتاحف في حفظ التراث غير المادي، وكيفية استخدام التقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي والواقع المعزز لتقديم تجارب تفاعلية للزوار، وضرورة تحول المتاحف إلى فضاءات للحوار المجتمعي وليس مجرد مستودعات للقطع الأثرية. وقد شهد المؤتمر إطلاق مبادرة «المتحف الرقمي العربي»، التي تهدف إلى توحيد جهود المؤسسات الثقافية العربية في مجال التوثيق الرقمي للمجموعات المتحفية وإتاحتها للجمهور عبر الإنترنت، بما يضمن حفظ الذاكرة الجماعية للأمة العربية ونشرها.

وشدد المتحدثون على أن المتاحف لم تعد مجرد مؤسسات تعليمية، بل هي مؤسسات ذات تأثير اجتماعي واقتصادي كبير. كما سلّط المؤتمر الضوء على أهمية الشراكة بين القطاعين العام والخاص لتمويل المشاريع المتحفية الكبرى.

واختُتم المؤتمر بتوصيات دعت إلى زيادة الاستثمار في البحث العلمي المتعلق بحفظ المقتنيات، وتعزيز التبادل الثقافي بين متاحف العالم، وتضمين قضايا التنمية المستدامة ضمن رسالة المتاحف.

من إحدى فعاليات المؤتمر

أحد الأجنحة.

«مهرجان الدن الدولي للمسرح» في عُمان بمشاركة عربية واسعة

■ احتضنت مسقط/ سلطنة عُمان، فعاليات الدورة الخامسة من «مهرجان الدن الدولي للمسرح»، والذي يُعد من أهم المنصات الثقافية التي تحتفي بأبي الفنون في المنطقة. شهد المهرجان مشاركة واسعة من الفرق المسرحية العربية والدولية، مع تركيز خاص على التجارب المسرحية الجديدة والشبابية التي تتناول قضايا اجتماعية وفكرية معاصرة.

ويأتي المهرجان هذا العام تحت شعار «أهلاً بالعالم في سلطنة عمان» ليؤكد على دوره كأداة حيوية للحوار الثقافي العابر للحدود، ومساهمته في تلاقح الأفكار بين مختلف الحضارات. تضمن حفل الافتتاح عرض أوبريت «مجد أمة 1744» من انتاج وزارة الثقافة والرياضة والشباب (المديرية العامة للفنون) احتفاء بذكرى اليوم الوطني وتخليداً لسيرة الدولة البوسعيدية. كما شهد المهرجان تكريماً لعدد من قامات المسرح العربي التي أثرت المشهد الفني بعطاءاتها على مدى عقود، تقديراً لمساهماتهم في تطوير فن الأداء والإخراج، منهم الفنانة فخرية خميس، والفنان محمد نور، وعضو الفرقة الفنان عبيد خادوم الهنائي.

وتضمنت العروض الافتتاحية مسرحية «الظلال» لفرقة مسرحية عراقية، التي لاقت استحساناً نقدياً لعمقها الفلسفي وجمالية إخراجها، بالإضافة إلى عروض مسرح الشارع التي تهدف إلى إيصال الفن للجمهور في فضاءات مفتوحة وخارج القاعات التقليدية.

وفي جديد المهرجان لهذه الدورة تأتي "ليالي أثير الشعرية" كشراكة فنية متميزة بين مؤسسة أثير للإعلام، وفرقة مسرح الدن للثقافة والفن، لتوحّد بين الشعر والمسرح في لغة واحدة من الإبداع، في أمسيتين بمشاركة شعراء من سلطنة عُمان والعالم العربي.

وتضمن البرنامج سلسلة من الورش التدريبية المتخصصة في الكتابة المسرحية، وتقنيات الإضاءة، وفن التمثيل، أشرف عليها خبراء من العالم العربي وأوروبا، بهدف صقل مواهب الجيل الجديد من المسرحيين. ويُمثل مهرجان الدن فرصة فريدة للجمهور العماني للاطلاع على أحدث التطورات في المشهد المسرحي العالمي، فضلاً عن كونه محفزاً للإنتاج المسرحي المحلي. وتُعول اللجنة المنظمة على هذا الحدث لتحقيق نقلة نوعية في الحركة المسرحية العمانية والعربية.

من المهرجان.

بوكر العالمية للمجري ديفيد سالاي عن روايته «جسد»

■ أعلنت لجنة تحكيم جائزة البوكر البريطانية المرموقة عن فوز الكاتب البريطاني المجري ديفيد سالاي بجائزة هذا العام عن روايته (Flesh) «الجسد» ليُضيف اسمه إلى قائمة عريقة من الأدباء الذين حصدوا هذه الجائزة العالمية. وقد سُلّمت الجائزة في حفل بهيج أقيم في لندن في منتصف شهر تشرين الثاني/نوفمبر، بحضور نخبة من النقاد والكتّاب ودور النشر الدولية. وتُعد رواية «الجسد» عملاً أدبياً استثنائياً يتناول تيمة الهوية والذاكرة والبحث عن الانتماء في عالم متغير، مستخدماً تقنية السرد المتعدد الأصوات. وتدور أحداث الرواية حول مهاجر يعيش في أوروبا الغربية بعد عقود من الانفصال عن وطنه الأم، ويواجه تحديات الاندماج الاجتماعي مع الحفاظ على جذوره الثقافية. وأشادت رئيسة لجنة التحكيم بالعمل، واصفة إياه بأنه "تحفة أدبية ذات بناء متقن ولغة عذبة"، مشيرة إلى قدرة سالاي على الغوص في أعماق النفس البشرية وتصوير تعقيدات العلاقات الأسرية والثقافية في زمن العولمة. وتفوق سالاي على منافسين له وصلوا للقائمة القصيرة للجائزة منهم منافسته الروائية الهندية كيران ديساي، الفائزة بالجائزة عام 2006، وعلى الكاتب البريطاني أندرو ميلر، كما ضمت قائمة المتأهلين الستة أيضًا الروائية الأميركية وراقصة الباليه السابقة كاتي كيتامورا، والكاتب بن ماركوفيتس، والكاتبة سوزان تشوي.

ويُرافق الفوز بالجائزة مبلغ نقدي كبير يبلغ 50 ألف جنيه استرليني، إلى جانب الشهرة العالمية التي تضمن للرواية ترجمتها إلى عشرات اللغات وتحقيق مبيعات قياسية. ويُتوقع أن يُساهم هذا الفوز في تسليط الضوء مجدداً على الأدب الذي يتناول قضايا المهاجرين والهوية المزدوجة، ويفتح الباب أمام المزيد من الحوارات الفكرية حول مفهوم الوطن والانتماء في العصر الحديث. وقد أعرب سالاي عن سعادته بالجائزة، مهدياً إياها لكل من يشعرون بالغربة في أوطانهم الجديدة، ومؤكداً أن الأدب هو الأداة الأقوى لتجاوز الحواجز بين البشر.

سالاي مع روايته الفائزة.

الشاعرة الإيرانيّة بروين اعتصامي ... سيّدة عصرها

لبنان ـ نسرين الرجب*

جعلت من شعرها منبرًا لثقافتها الإسلاميّة، عاشت في زمنٍ شهد الكثير من التقلّبات السياسيّة، استطاعت أن تجمع بين الحداثة والأصالة، وبصوتها الخاص تحدّثت عن مشكلات مجتمعها، وتناولت قضايا التفاوت الطبقي، لم ترتهن لما لا يشبهها، وإذ أنّها نشأت تحت كنف والد محب وحريص على تزويدها بالمعرفة والثقافة، واجهت مجتمعًا كان لا يزال يرزح تحت عبء التقاليد ويعكس صورة نمطيّة مذلّة عن المرأة، كانت نسويّة لم تنصفها النسويّة فتجاهلت تأبينها، كانت محاربةً في زمن يبدو فيه الاستسلام حاجة، قالت «لا» كثيرة، أورثتها حزنًا برز في كثير من مضامين شعرها.

بروين اعتصامي (1906ـ1941)

كان اسمها رخشندة اعتصامي، ولدت العام 1906في مدينة تبريز، اختارت اسم «بروين» وهو يعني الثريا في الفارسيّة، لقبًا شعريًا اشتهرت به، عاشت في كنف عائلة محبّة للعلم والأدب، فكانت ابنة وحيدة لعائلتها، وأخت لأربعة ذكور، كان والدها «الميرزا يوسف اعتصامي» كاتبًا ومترجمًا شهيرًا، ومدير مجلة ثقافية، وأمها «أختر فتوحي» كانت ابنة شاعر بارز «ميرزا عبد الحسين مقدم العدالة» وقد توفيت ولا تزال «بروين» طفلة صغيرة. وعبّرت في قصيدتها «الطفل اليتيم» بجزالة عن مرارة الحرمان من الأمّ:

لم أر وجه أمي أبدا
والطفل اليتيم عيونه ليست فرحة
كم جميل نور وجه الأمّهات
لكن لماذا لا أرى نوراً أمامي.

تقول الدكتورة والباحثة في الأدبين العربيّ والفارسيّ «دلال عباس» (في محاضرة ألقتها في مؤتمر عن الشاعرة بروين اعتصامي، في قطر العام 2007 من شهر نيسان.): «كانت طفلة حين انتقلت عائلتها إلى طهران التي كانت في حينها مركز الحياة الثقافيّة في إيران، وكان والدها السيد يوسف اعتصامي مدير مجلة "بهار" وهي أوّل مجلة فنيّة في المرحلة التي أعقبت الثورة الدستوريّة. وعلى يده تعلّمت الفارسيّة والعربيّة. وتعرفت إلى أعلام الأدبين، وقرأت القرآن».

تلقّت تعليمها في المنزل على يد أبيها وكبار الشعراء وأساتذة اللغة الفارسيّة، وأكملت الثانوية في المدرسة الأميركيّة للفتيات ممّا أكسبها ثقافة إنكليزيّة وتخرّجت منها في العام 1924، وعملت فيها مدرّسة، وعلى الرغم من نشأتها في جوّ أسريّ منفتح وداعم، إلّا أن المجتمع الخارجيّ كان متغوّلًا وغير ناضج فكريًا فيما خص حقوق المرأة، وقد أخذت على عاتقها تحديّ ذلك، وفي شعرها الكثير من الدعوات لتحسين وضع المرأة وانتقاد لكلّ من وما يعيق تطوّرها، ومع ذلك يُشار إلى أنّ ديوانها الأوّل طُبع بعد زواجها في العام 1935، وهي كانت على شهرة واسعة يقرأ قصائدها الناس في مجلة "بهار" التي يملكها والدها.

تنقل الكاتبة مريم ميرزاده في مقال عن الشاعرة (نشر في 21 أيلول 2021 جريدة الأخبار)؛ عن الشاعر والباحث في الأدب الفارسي الدكتور سعيد نفيسي، قوله: " إنّ بروين كان لها وجهٌ هادئٌ الملامح يزيّنه الحياءُ ونظرتها الشهيرة إلى أسفل دائماً عند الحديث، ومنطقٌ وقورٌ وفصيح، حتى أنها لم تكن لتبديَ أيّ عُجبٍ وفخرٍ بذاتها حين يمتدحونها، بلْ كانت لا تسعى للظهور والشهرة أبداً.

وبترجمة ميرزاده تقول الشاعرة:

القلبُ الطاهرُ مرآةُ وجه الله
هي مرآةٌ لا تصدأ
الجسدُ الذي امتطى حصان الهوى عمراً.. لم يدرك يوماً أنه ـ ان بلا سرج.
الشرابُ المر.

ولكن حياتها الهانئة انقلبت بزواج تعيس من ابن عمّ أبيها الذي كان عنصرًا للأمن في مدينة "كرمنشاه"، تزوجت وهي في الثامنة والعشرين، اختلفت الطباع وتنافرت الأنفس، فاللطافة في مقابل الجمود وصلابة الطبع، والروح الشاعرة في مقابل بلادة الحسّ، والطهارة في مقابل الرجس، فيُذكر أنه كان مدمنًا وصاحب سلوك منحرف.

كان هذا الزواج حدثًا مأساويًا قلب موازين حياتها، وأورثها كآبة في رؤيتها الشعريّة، داوتها بفلسفتها الدينيّة وإيمانها بالقضاء والقدر.

زواجا لم يدم أكثر من أربعة أشهر وترك في نفسها ندوبًا لم يلحق أن يصلحها الزمن، وبعد عام حصلت على الطلاق بعد أن تنازلت عن حقوقها. كانت العائلة المقربة داعمة لها في كلّ قراراتها ولكن المجتمع الخارجي كان لا يزال متمسّكًا بالعادات والتقاليد التي تذم المرأة وتنتقص من مقدراتها، مما جعل الشاعرة في عزلة وابتعاد لم تذكر تفاصيلها في أشعارها، ولكن لم يسلم بيت من وخز الألم وأنين الحزن وهو يشم صدرها بألوان المتاعب.

ما شربّوه لي كان مرًا
يجب أن نشرب خمرة القدر..
أيتها الياقوتة مع كلّ صفاء قلبك المنير
ماذا رأيت سوى هذا المشتري السافل..

وتقول:

لا تذكر نور التجلّي في حضرة الشمعة
فليس كل من يملك عصاً هو موسى بن عمران..

شاعرة الوعي والرسالة

لم تعلق اعتصامي في دائرة أحزانها الداخليّة، كانت واعية لثورة عصرها مدركة لأبعاد الخطابات، فهي الرافضة للجهل القاجاري في الحقبة السياسية القاجاريّة (دولة إيرانية حكمتها السلالة القجارية المنحدرة من قبيلة قاجار من أتراك الأوغوز واستمرت قائمة من سنة 1789 حتى 1925 رفضت العبودية البهلويّة للغرب (دولة أسست إثر قيام رضا بهلوي بالانقلاب ضد الشاه أحمد مرزا القاجاري حكمت حتى صعود الثورة الإسلاميّة 1979)، ولم تهادن طلب الشاه «رضا بهلوي» تعليم زوجته الملكة، وكذلك رفضت قبول جائزة منه وسام الرتبة العلميّة الثالثة. واعتبرته إهانة بحقّها. واستجلب عليها ذلك رفض الحكومة إقامة مراسم عزاء حين وفاتها وتم دفنها في مقام السيّدة المعصومة في مدينة قم.

وتُفيد الدكتورة عبّاس: «بروين اعتصامي شاعرةٌ إيرانيّة استطاعت على مدى عمرها القصير، أن تغرز اسمها في مجلّد الشعر الفارسيّ، في زمن كانت المرأة لا تزال تحت ثقل العادات والتقاليد، وكان الجوّ السياسيّ مضطربًا، ركنت إلى ينبوع العلم والتثقّف، ونهلت من معين أبويها الحكمة والمعرفة وحبّ الأدب».

كانت أفكارها (بحسب ما تذكره) الدكتورة عباس تتحرك في مسارين، تناولت كل جوانب الحياة الإنسانية، فلسفة الوجود وسرّ الخليقة وتعقيدات حياة البشر وارتباطها بما بعد الطبيعة، ولم تغفل حياة الإنسان العادية ومصيره وواجباته في الدنيا.

«يا بروين الأغنياء لا يشعرون بهمّ المساكين... لا تدقّي عبثًا، فهذا الحديد بارد».

احتفى النقاد بشعرها فتنقل الدكتورة عباس عن أحد النقاد، نصر الله تقوي، قوله: «سلكت في قصائدها طريقة ناصر خسرو وأسلوبه، بانسجام خاص، كما أن آراءها في القضايا الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية منسّقة ومنظّمة». وعنها قيل: «أكبر شاعرة متصوفة وقد تعمّقت في عالم العرفان والمعرفة إلى حدّ فائق. وتأثيرها في عالم الأدب الإيراني باقٍ وخالد».

وذُكرت عن أن تأثير كبار شعراء إيران مثل سعدي وحافظ كان جليًا في كثير من أبياتها. وتذكر أنها كانت من الشعراء المحافظين في تصنيف النقاد، حافظت على الأوزان التقليدية، وجدّدت في مضامين الشعر، وتطرقت إلى الموضوعات الاجتماعية، واستطاعت التوفيق بين أسلوب القدماء وأفكار المجددين.

وتضيف: «في ديوانها الذي يضم 6500 بيت من الشعر تجد القصائد والمثنويات والمقطوعات والشعر القصصي، حيث يمتزج أسلوب المتقدّمين في الجوانب الأخلاقيّة والعرفانيّة وأسلوب المناظرة." لقّبها البعض بـ «لافونتين عصرها» لاعتمادها أسلوب المناظرة القصصيّة في كثير من شعرها، ومن ألقابها «سيدة الشعر الإيراني المعاصر».

ثقافتها الدينية ارتسمت في معاني فكرها وتناولت أحوال المجتمع والناس وفي قصيدة نظمتها وطلبت أن تكتب على شاهد، يتجلى وعيّها الوجوديّ وإيمانها، وكذلك ضعف الإنسان ومرارة العيش، تقول:

هذه التي تتوسد التراب الأسود
هي بروين كوكب أفلاك الأدب
مع أنها لم تر من الأيام سوى المرارة
فإنّ كلامها العذب يختصر الكلام كله..
صاحبة هذه الأقوال كلها
تستجدي الفاتحة وياسين
ما أحسن أن يتذكرها الأصدقاء
فالقلب بلا صديق قلبٌ حزين
التراب الذي ملأ العيون لا يطاق
والحجر فوق الصدر ما أثقله
فليرِ هذا الفراش ويعتبر
كلّ من له عينٌ تبصر الحقائق.

وفي مقطع تختم بالقول:

لا حلّ سوى التسليم ولا أدب غير الطاعة.

عليك أن تحملي أثقال القدر

على الرّغم من أنّ تربيتها الدينيّة الإسلاميّة تظهر جليّة في شعرها، إلّا أنها سعت إلى نقل صورة الإسلام المنفتح على الآخر، والذي يشجّع على المساواة بين المرأة والرجل، والذي يدعو إلى تكريم المرأة وصونها، في وجه الأعراف والتقاليد التي تحدّ من خياراتها.

النار لا تصبح برداً وسلاماً إلّا للخليل
الدين يأمرك بالعمل، والعمل بالصدق

فهذه الآلام لا يداويها الكلام.

تشير الدكتورة عباس إلى عصر بروين قائلة: «إنّ المجتمع بعامة في عصرها كان ينظر إلى المرأة نظرة دونيّة، حتى رجال الدين المتنوّرين الذين شاركوا في الثورة الدستوريّة، لم يتطرّقوا... إلى سوء الأوضاع التي تعاني منها المرأة الإيرانيّة، والذين طالبوا بتحرير المرأة تأثروا بالأفكار الغربيّة، ...لأن التقاليد كانت أقوى من أوامر الدين ونواهيه».

فتقول الشاعرة:

كيف تكون مرشداً وقد ضللت الطريق
كيف تكون مشرّعًا وأنت جاهلٌ بالأحكام
لماذا حُرمت النساء من حقوقهنّ
لماذا أُسقطت أسماؤهن من كلّ دفتر.

وهي المثقّفة التي لم يعمها التعصّب، ولم تركن إلى ضيق الفكر، وهي المتنوّرة ثارت على ظُلمات الجهل، وقالت ما عجز الكثيرون عن قوله:

لم يسطر القضاء في أي دفتر أو كتاب
أنّ الكمال للرجال وأنّ النقصان للنساء.

وفي شعرها القصصيّ، اتّخذت من آيات القرآن الكريم ميزانًا لمعاني شعرها، ولا يحتاج الأمر لبحث وتدقيق لتلمّس ذلك، فهي تقول:

واجعلي الحرص والهوى تحت سيطرتك.
وتقول:
لا تغتم بالحزن، ولا تفرح بالفرحة
فلا الفرح يدوم في هذه الدنيا، ولا الأحزان.
وتقول:
ماذا أعطيت سوى درهم وتريد عوضاً
الجنة ونعيم الأرض والسماء.

ولها قصيدة طويلة بعنوان «موسى» تستلهم من حكاية النبيّ الكثير من معاني التفكّر في الوجود.

أمنت بالقضاء والقدر محاولة ترويض الألم، فهي عاشت في ظل دكتاتورية الحكم، الفقر المدقع والغنى الفاحش، والظلم اللاحق بالمرأة، دونية المرأة في المجتمع العام وفشل الزواج:

عليكِ أن تحملي أثقال القدر لا أحد يمكنه التخلص من هذا الحمل.

وتقول:

نحن لا نخاف من القدر والحظّ
فنحن نعلم عمق هذه الدوّامة الصعبة.

وفي كثير من شعرها الذي ظاهره التسليم، تظهر الصعوبة والمعاناة في المواجهة، فمهما بلغت رغبتها بالتحرّر إلّا أن المعوقات كثيرة، وقد يظهر ضعفًا في المواجهة عند الشاعرة، وذلك قد يعود إلى طبيعتها الثائرة في خجل، ربّما، والمؤمنة بأن هذه الدنيا زائلة، وأنّ المحاربة تحتاج طاقة صمود وتحدّ تفوق احتمالها. وخاصة أنّها توفيت في عمر صغير، قد لم تتمكن فيه بعد من تقبل خباثة هذا العالم.

حمامة صغيرة مشتاقة إلى التحليق، تجرّأت يوماً وطارت..
لا فكرها استطاع أن يدرك الفضاء، ولا كانت لديها القدرة على العودة من هذا الطريق.

سُمي يوم الخامس عشر من شهر آذار من كلّ عام، اليوم الوطني لـ "بروين اعتصامي" في إيران، لتكريمها وتقدير جهودها العظيمة في مجال الشعر الإيراني المعاصر وأسلوب المناظرة الشعرية. وقد سُجّل اسمها في قائمة اليونسكو لمشاهير العالم. ولها تمثال من البرونز بالقرب من منزلها في تبريز، مما يخبر عن عظمة تأثير هذه الشاعرة في مجتمعها وجلالة قدرها. ■

*كاتبة وصحافية

تمثال الشاعرة بروين اعتصامي في مدينة تبريز

الروائية نجوى بركات لـ«الحصاد»:

أصبحت أتناول الكتابة من منظور روحي وأخلاقي

السعودية: لطيفة حسيب القاضي

الكاتبة والروائية اللبنانية (نجوى بركات) مؤسسة محترف «كيف تكتب رواية» عملت كصحفية حرة في الصحف والمجلات العربية، كما أعدت وقدمت برامج ثقافية في الإذاعات الدولية، إلى جانب إنجازها عددًا من السيناريوهات الروائية والوثائقية.

كتبت نجوى بركات ثمان روايات حاز بعضها على جوائز، ترجمت إلى لغات أجنبية عدة، منها رواية «بواص الأوادم» الحاصلة على جائزة أفضل عمل إبداعي عام 1996 و«رواية يا سلام» و«لغة السر» التي وصلت للقائمة الطويلة لجائزة «فيمينا» الفرنسية للأدب المترجم واللائحة القصيرة لجائزة الأدب العربي في فرنسا 2015، ورواية «مستر نون» التي وصلت إلى القائمة الثانية لجائزة فيمينا الفرنسية للأدب المترجم، اللائحة القصيرة لجائزة الأدب العربي في فرنسا 2021. كما شاركت في العديد من لجان التحكيم الأدبية العربية والأجنبية، وحاضرت في عدد من البلدان العربية والأجنبية. وكان لنا معها هذا الحوار الحصري لمجلة الحصاد.

● «الحصاد»: بدايةً، دفعك اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية إلى الهجرة لباريس عام 1985 كيف أثرت هذه التجربة الجذرية في تشكيل هويتك ككاتبة وفي رؤيتك للعالم الذي يتجلى في أعمالك الروائية؟

○ نجوى بركات: كانت تجربة السفر إلى باريس تجربة ثرية وقاسية في آنٍ واحد. قاسية لأنها جاءت في وقت كنت فيه أغادر لبنان، بينما كانت الحرب الأهلية لا تزال مشتعلة، ولم تكن وسائل التواصل كما هي اليوم. كانت خطوط الاتصال كثيرًا ما تنقطع، والقصف مستمر، والخوف يسيطر. خوف على الأهل، الأصدقاء، وعلى الوطن بأسره.

لكن في المقابل، كانت تجربة غنية جدًا، لأن باريس آنذاك كانت لا تزال مركزًا عالميًا في شتى المجالات، وملتقى لثقافات وفنون متعددة في المسرح، والرقص، والأدب، والترجمة، وغيرها. كانت بحق مدينة محورية في الثقافة الأوروبية والعالمية. أضف إلى ذلك مسألة المواجهة مع "الآخر"، ذلك الآخر الذي قد ينظر أحيانًا نظرة محدودة أو سلبية إلى القادم من مكان مختلف. ومع ذلك، كانت تلك المواجهة إيجابية من جهة أخرى، إذ جعلتني أتعرف إلى ثقافتي وهويتي بشكل أعمق؛ فحين تتقابل مع الآخر ويسألك السؤال من أنت؟ تبدأ أنت أيضًا بطرح السؤال ذاته عن ذاتك وثقافتك ولغتك.

● «الحصاد»: لديك خبرة واسعة في مجال الصحافة والإعلام المرئي والمسموع، إلى جانب مسيرتك الروائية. كيف تتقاطع هذه الخلفية الإعلامية مع عملك الروائي؟ وهل ترين أن تجربتك في برنامج "مطالعات" الثقافي، الذي يستعرض الإصدارات الأدبية والفكرية، قد أضافت بعداً جديداً لفهمك للعلاقة بين الكتب والقارئ؟

○ نجوى بركات: في الحقيقة لا أدري إن كان يمكنني القول إن لدي تجربة إعلامية بالمعنى التقليدي، فأنا أقرأ وأجري الحوارات بصفتي كاتبة قبل أن أكون إعلامية، يمكن القول إن البرنامج الذي أقدّمه هو نوع من «الورطة الجميلة»، لأنني شعرت بوجود كمٍّ هائل من الإنتاج الأدبي في عالمنا العربي دون اهتمام كاف به، خاصة مع تراجع الصحافة الثقافية في المجلات والجرائد. فكان لا بد من وجود فكرة لبرنامج يكون فيها الكتاب نفسه هو النجم، لا الكاتب فقط. أتابع من خلاله الإصدارات الجديدة في مجالات الرواية، الشعر، علم الاجتماع، والتاريخ، مع انحياز واضح للأدب الذي ما زال يحتل الحيز الأكبر ولا أنكر أنني أكتب في الصحافة وقد، عملت في العمل الإذاعي في فترة وكنت في باريس أعمل كمعدة برامج.

لكنني لا أرى أنني أنتمي إلى الصحافة بمعناها السائد حاليا، بل إلى صحافة النقاش والحوار والبحث، ولهذا أرى أن لقب "إعلامي" أصبح ملتبسًا ومفردة إعلامي تؤرقني في بعض الأحيان لأنها كلمة مستهلكة فرغت من معناها الحقيقي، فبات أي إنسان يطلق على نفسه صفة إعلامي. أنا قبل كل شيء كاتبة، وكل ما أقوم به من مهام أخرى يندرج تحت هذه الهوية، مع إيماني بأن الكاتب في الأصل قارئ قبل أن يكون كاتبا.

● «الحصاد»: عرفت الكتابة بأنها: "ليست مجرد إنتاج روايات بقدر ما هي إنتاج أسئلة وسعي لأن تعرف". في ظل هذا التعريف، ما هو السؤال الأكثر إلحاحًا الذي يشغلك الآن ككاتبة وإنسانة؟

○ نجوى بركات: من الصعب جدًا أن يعرّف الكاتب عملية الكتابة بطريقة واحدة أو يختصرها في تعريف محدد. فاليوم قد أراها فعلاً معرفيا، وغدًا طرحًا لأسئلة على العالم، وبعد غد ربما اعتراضًا على تراجيدية الحياة ومأساة الوجود الإنساني. الكتابة في جوهرها مزيج من كل ذلك، لا يمكن حصرها في معنى واحد أو تحديدها بإجابة نهائية

السؤال الذي يشغلني اليوم أكثر من أي وقت مضى، وبعد فترة طويلة كان فيها اهتمامي منصبًا على أسئلة العنف والقسوة، وهي مواضيع تناولتها في رواياتي مثل لغة السر وباص الأوادم ويا سلام، أصبح سؤال الضحية والأثر الذي يخلّفه العنف في أعماق الإنسان هو شاغلي الأكبر.

لم أعد أتناول المسألة من منظور نفسي، بل من زاوية روحية وأخلاقية. ما يشغلني اليوم هو الخراب الداخلي، خراب الروح تحديدًا؛ لأن ما نعيشه وما هو مرشّح للاستمرار، يرتبط بالحروب والاحتلالات والإرادات والمجازر، لا أدري إلى أي حد يستطيع الكاتب أن يحمي قلمه أو ذهنه أو حتى روحه من هذا المحيط المليء بالموت والدمار؟

السؤال الذي يطاردني هو: ما الذي سيتركه كل هذا الخراب في داخلنا؟

إنه أثر المقتلة الجماعية التي نحياها يوميًا، والتي لم نعد نستطيع الادعاء أننا نجهلها. فصور المآسي تُعرض أمامنا باستمرار، من غزة إلى العراق ولبنان وسوريا شريط الأخبار لا يتوقف، وشريط الصور لا ينتهي.

وأتساءل: هل وصلنا إلى مرحلة من التبلّد جعلتنا نعتاد هذا الموت القبيح؟

هل أصبح اغتيال الحياة مجرد تفصيل ثانوي نمرّ به ثم ننسى فظاعته شيئًا فشيئًا؟

● «الحصاد»: وصفت علاقة الكاتب بالشخصية الروائية بأنها "ملتبسة"، وكأن الشخصية تسيطر على الكاتب وتوضح أسراره.

○ نجوى بركات: أنا أؤمن إيمانًا راسخًا بأن الشخصية هي عماد العمل الروائي. فاختيار الشخصية، وبناؤها، وتحويلها إلى كائن ينبض بالحركة والكلام والمشاعر، هو الشرط الأول لنجاح الرواية. يليه بطبيعة الحال اللغة والأسلوب والبناء السردي.

ومن خلال تجربتي ككاتبة، وكذلك من خلال عملي كمؤسسة ومديرة محترف «كيف تكتب رواية»، كنت أؤكد دائمًا لطلابي أن الشخصية الروائية التي لا تتمرد على كاتبها في مرحلة ما هي شخصية غير مكتملة البناء.

● «الحصاد»: هل تفاجئك أحيانًا شخصيات الرواية، شاركينا تجربتك الشخصية حول كيف فاجأتك إحدى شخصياتك الروائية باكتشاف لم تتوقعيه، وماذا تمثل لك الشخصية الروائية، وما مدى علاقة الكاتب بها؟

نجوى بركات: نعم، شخصياتنا الروائية تفاجئنا أحيانًا، لأننا بعد أن نؤسسها ونتعرف إليها من الداخل والخارج، تبدأ هي بقيادتنا. تصبح هي محرك الحدث ومادة السرد، وعندما تصل إلى هذه المرحلة، فهذا يعني أنها أصبحت حيّة فعلاً.

يحدث حينها حوار خفي بين الكاتب والشخصية، فإذا حاول أن يدفعها نحو سلوك لا ينسجم مع طبيعتها، فإن صوتها الداخلي في النص يحتجّ، كأنه يقول له: أنت تسير بي في الاتجاه الخاطئ.

ولهذا أعتقد أن معظم الكتّاب يتفقون على أن الشخصية الروائية الحقيقية يجب أن تفاجئ كاتبها، وأن تتولى هي بنفسها دفة الكلام في نهاية المطاف.

يمكنني القول إن الشخصيات الروائية التي نعتقد أننا اخترعناها، في الحقيقة تظل تعيش فينا وترافقنا في أعماقنا، حتى بعد أن نرسم لها مصيرًا قاسيًا أو نهاية مأساوية. فحتى حين نغلق الكتاب وننهي الرواية بموت الشخصية أو رحيلها، تبقى حاضرة في وجداننا.

على سبيل المثال، شخصية لقمان، بطل رواية يا سلام، كانت من الشخصيات التي فاجأتني كثيرًا. هو مقاتل ميليشياوي استفاد من الحرب، عاش كمرتزق، ورغم أنني أنهيت الرواية بموته، لم يغادرني أبدًا ككاتبة. وبعد عشرين عامًا، وجدته يعود إليّ مجددًا في روايتي مستر نون.

في هذه الرواية، صوّرت كاتبًا يعيش مع أشباح شخصياته التي خلقها، ويفاجأ بأن إحداها (وهي شخصية شريرة ظنّ أنه قضى عليها في النص) ما زالت حية في الواقع. هذا الاكتشاف يقوده إلى نوع من الهذيان المؤلم، لأنه يشعر بأن الواقع تجاوزه، وأن ما كتبه لم يكن سوى ظلّ لحقيقة سبقته.

هكذا استعدت شخصية لقمان بعد عقدين من الزمن، لأرسم من خلالها صدمة اللقاء بين الخيال والواقع، وبين الكاتب وأشباحه التي لم تمت فعلاً.

● «الحصاد»: ذكرت أن الكتابة "لعنة ونعمة، هي نار تشتعل في داخل الكاتب وعليه أن يعرف كيف يهدئ سعيرها كي لا تأكله من الداخل". كيف تتعاملين مع هذه "النار الإبداعية" للحفاظ على توازنك ككاتبة؟

○ نجوى بركات: الكتابة بالنسبة لي هي لعنة وبركة في آنٍ واحد. فما زلت حتى اليوم أرى الكتابة نارًا تشتعل ببطء في الداخل، مثل جمرٍ يحرقك بهدوء دون أن ينطفئ. فعندما أكتب، كثيرًا ما لا أشعر بالرضا الكامل، وحين لا أكتب، أحسّ أنني كائن منقوص، ينقصني شيء جوهري، كالأوكسيجين الذي يحتاجه الجسد.

لقد كتبت نصا بهذا المعنى: ماذا سيحدث للعالم إن توقفتُ عن الكتابة؟ ينتابني هذا الشك بشكل خاص حين أستحضر أثر الكبار الذين تركوا بصمتهم في الأدب. غريبة هي حكاية الكتابة، أنت مدعوّة لأن تتحلّي بثقة راسخة في النفس، وبقدرة على خلق شيء ذي قيمة، وفي الوقت نفسه أنت ابنة الشك والقلق والحيرة، وتخافين ألا تكوني على قدر الإبداع الذي تتطلعين إليه.

وفي زمنٍ بات فيه الأدب والمعاني الجمالية عرضة للاستهلاك والتسخيف، يصبح الشعور بالتيه والضياع أمرًا طبيعيًا، وكأننا نحاول التمسك بجدوى الكتابة وسط عالمٍ لم يعد يصغي كما كان يفعل في السابق.

في مستر نون حاولت أن أتعامل مع هذه المحنة من خلال كاتب يبتكر شخصية شريرة ويتخلص منها داخل الرواية، لكنه يكتشف أنها ما زالت تسكن أعماقه. هذا أحد وجوه الرواية، وهو أيضاً أحد وجوه الكتابة نفسها. كذلك في الرواية الأخيرة غيبة مي، حيث تعود اشباح الماضي لتفرض وجودها على امرأة ثمانينية تعيش وحيدة. فالكتابة ليست فعلاً بريئاً كما يظن البعض، فهي تحفر عميقاً في الروح وتكشف ما بداخلها من ظلمة وغرائز. لذلك أقول إن الكتابة لعنة، لأنها تخرج منّا كل ما نحاول إخفاءه

● «الحصاد»: أسست "محترف نجوى بركات" للرواية، والذي يهدف إلى صقل المواهب الشابة وتخليصها من القوالب النمطية. ما هي أبرز التحديات التي تواجه الكتاب العرب والشباب اليوم؟

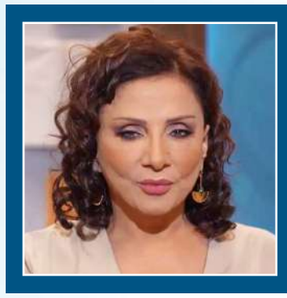

> أحاول التمسك بجدوى الكتابة وسط عالمٍ لم يعد يصغي

وكيف ترين دور هذه الورش في تشكيل مستقبل الأدب العربي؟

نجوى بركات: أن تكون الكتابة مبدعة أو خلاقة بالمستوى المنشود لم يعد أمراً يسيراً في زمنٍ يشهد انفجاراً في الإنتاج الأدبي، حتى باتت الكتابة تُفرغ من معناها وتُسخف، مما يجعلنا نشعر بالتيه وسط حقلٍ يزخر بالأشكال والألوان، القليل منها مثمر، بينما تكثر فيه الحشائش الضارة. هذا الواقع قد يصيب الكاتب بالإحباط ويزيد من شعوره بالعزلة، ناهيك عن المعاناة التي يعيشها الكُتاب اليوم في ظل هذا المشهد المربك.

معاناتنا ككتّاب عرب هي أننا للأسف لا نعيش من كتاباتنا. الكاتب العربي محتاج بشكل دائم إلى أن يكون لديه عمل معيشي. يجب أن يكتب للصحافة أو أن تكون له وظيفة تدرّ عليه ربحًا ماديًا ليتمكن من العيش بشكل لائق، لأن الكتابة لا تُطعم خبزًا في العالم العربي، وهذه مأساة حقيقية.

لديّ أصدقاء من جنسيات غربية يعتاشون من كتبهم، وليس بالضرورة أن يكونوا من كتاب الصف الأول، وهذا ما يجعل الأمر أكثر إيلامًا. فالمأساة أن الكاتب العربي يعيش بطاقة موزّعة بدل أن تتركّز على عمله الإبداعي، ويُضاف إلى ذلك هذا الشعور القاتل بالذنب والسعي الدائم لسرقة الوقت كي يتسنى له أن يفرغ لنفسه ويخصّص وقتًا للكتابة.

● «الحصاد»: هل كانت ترجمة كتبك للفرنسية عملية سهلة. وما هي التحديات التي واجهتك أو واجهت المترجم في نقل هذا العمل إلى لغة وثقافة أخرى؟

○ نجوى بركات: من محاسن الترجمة أن يُتاح للنص العربي الجيد أن يُترجم ويخرج إلى العالم، حيث يمكنه أن يحقق حضورًا لافتًا. . لدينا كتاب عرب مهمون، ولدينا أعمال أدبية رفيعة، لكن للأسف حركة الترجمة لا تخدمنا كما يجب. أولًا، لأن الدول العربية لا تمتلك مؤسسات أو جهات ثقافية تتبنى ترجمة الأدب العربي بالشروط المناسبة، ولا تضمن له حضورًا في المعارض والفعاليات العالمية. وثانيًا، لأن هناك ضعفًا في نوعية الأعمال التي تُترجم أحيانًا، إضافة إلى أن بعض المترجمين مع كامل احترامي لهم لا يمتلكون دائمًا الأدوات الكافية لنقل النصوص الأدبية العربية بأفضل صورة

لقد اشتهرت بعض الترجمات أو نالت جوائز، لكنها ليست دائمًا ذات نوعية ممتازة. نحن نُعامل كأدب لا يحظى باهتمام كافٍ من العالم، لكننا أيضًا مسؤولون عن ذلك، ولسنا أبرياء تمامًا. لا ينبغي أن نقول إن الغرب يحتقر العرب أو يعادي الإسلام فحسب، بل علينا أن نسأل أنفسنا: ماذا نفعل نحن لتقديم صورة مضيئة عن ثقافتنا، وعن أدبنا، وعن كُتّابنا؟

تُرجمت رواية لغة السر إلى الفرنسية، كما تُرجمت أعمال أخرى لي إلى الإنجليزية والإيطالية وغيرها. كانت لغة السر تحديداً رواية تتطلّب جهداً خاصاً، وقد قال لي الناشر فاروق هناك شخص واحد فقط قادر على رفع هذا التحدي، وهو فيليب فيجرو..

وعندما عُرض عليه المشروع وأطلع على الرواية، أحبها وقرر ترجمتها. تتناول الرواية علم الحروف، وتستخدم أشكال الحروف العربية ضمن سياقها السردي، وفيها معجم خاص، وأجواء صوفية، واقتباسات من ابن عربي. حتى وأنا أكتبها لم أكن أدرك تماماً بعض معانيها، فالفتوحات المكية عمل معقّد وصعب القراءة، خاصة في الأجزاء التي تتناول الحروف وخواصها.

المترجم كان مبدعاً بحق؛ فعندما أنهى المسودة الأولى وأرسلها لي لقراءتها، شعرت بشيء من الخوف وأنا أقرأ الصفحات الأولى، خفت أن يخون النص، لأني أتقن الفرنسية جيداً. لكن عندما تابعت القراءة، لم أتمالك نفسي وبكيت؛ إذ كان جمال النص بالفرنسية يوازي الجهد الذي بذلته في كتابته بالعربية. كانت مفاجأة مؤثرة وجميلة جداً.

بشكل عام، أنا أكنّ احتراماً كبيراً للترجمة وللمترجمين، وكنت مصممة في برنامجي مطالعات على تخصيص فقرة لهم تقديراً لدورهم، لأن المترجم هو حقاً جسد التواصل، وجسر المعرفة، وصاحب ثقافة عميقة.

● «الحصاد»: في رواية "مستر نون"، تداخل الواقع مع الخيال وتناوبت الأزمنة بين الماضي والحاضر، مع مفاجآت مستمرة للقارئ: هل كان لديك قرار منذ بداية كتابة الرواية بصناعة عمل لا يكشف عن نفسه إلا مع النهاية؟ وما مدى أهمية هذا النوع من البناء السردي في إشراك القارئ؟

○ نجوى بركات: من الصعب على أي كاتب أن يكشف عن أدواته أو عن رحلته في الكتابة، فهي رحلة مليئة بالصعود والهبوط، بالمنعطفات والمطبات. لكن بالنسبة لسؤالك، نعم، حين كتبت مستر نون كان هدفي الوصول إلى هذا الكشف الأخير. كنت أريد أن يقرأ القارئ الرواية مرة ثانية بعد أن يُنهيها، أن يعيد في ذهنه ما قرأه تحت ضوء جديد.

بعض القرّاء رأوا فيها رواية نفسية، وأنا أعتقد أنها في جوهرها تتحدث عن تعقيد فعل الكتابة نفسه، وعن الكيفية التي يعيش بها الكاتب أحياناً مع أشباح يخلقها بيده. نحن، الكتّاب، لا ننجو تماماً مما نكتب، فكيف إذا كان ما نكتبه مشبعاً بالسوداوية والقسوة؟

أما شخصيات رواية يا سلام كانت تدور حول الحرب اللبنانية، إلا أن رواية مستر نون فهي عودة للأسئلة التي بقيت بلا إجابات بعد مرور أكثر من عقدين على انتهاء تلك الحرب. فالحروب لا تنتهي بانتهاء إطلاق النار، لأن من عاش فظاعتها لا يمكن أن ينجو منها فعلياً. إنها تجربة تكشف أبشع ما في الإنسان من عنف وقبح.

● «الحصاد»: نلاحظ في بعض كتاباتك أنك تتركين المكان مجهولاً أو غيرَ محدّد بشكل واضح. لماذا تختارين هذا النهج في السرد؟ وما هي الدلالة التي ترغبين في إيصالها من خلال ذلك؟

○ نجوى بركات: في مرحلة ما، كنت أجد صعوبة في تسمية الأمكنة في رواياتي؛ فمثلاً في باص الأوادم أو يا سلام التي تتناول بيروت، تجنبتُ ذكر اسم المدينة صراحة، وكذلك في لغة السر اخترعتُ اسم قرية غير موجودة على الخريطة.، قرية اليسر. ربما تعود هذه الحساسية تجاه الأسماء إلى تجربة الحرب الأهلية التي عشتها في بدايات المراهقة، إذ علّمتني الحرب أن الأماكن، مثل البشر، يمكن أن تموت أو تهرم أو تُدفن.

لقد أصبحت أخشى الأسماء لأنها في زمن الحرب كانت تُحدّد الانتماءات؛ فمجرد أن يُقال "علي" يُفهم أنه من الطائفة الشيعية، و"أنطوان" يُنسب إلى الطائفة المسيحية. لم تكن المشكلة في الانتماء نفسه، بل فيما تستتبعه الأسماء من تصنيفات سياسية وهويات طائفية قاتلة.

من هنا، سعيتُ إلى خلق فضاءٍ سرديٍ محايد، أستطيع فيه تحريكَ شخصياتي بحرية، من دون أن تُقيّدهم تلك التصنيفات التي كانت في الحرب للموت. ■

*أديبة، شاعرة وقاصّة

حسين كنعان «في ذاكرة السؤال والجواب»

حوارات سياسية واقتصادية صفحة من عمر لبنان

رؤوف قبيسي*

في التصدير لكتابه الجديد «في ذاكرة السؤال والجواب ـ حوارات في مجالات السياسة والإصلاح الاقتصادي والمالي»، يقول الدكتور حسين كنعان: «إننا نبكي من الذكريات وعليها، ولا ندرك أن الأقصى والأخطر من كل ذلك هو بكاء الوطن. الوطن يبكي بصمت ومن دون أن يذرف الدموع، وهذه إن ظهرت لا تفرّق بين لبناني وآخر. الوطن هو الأمة والمصير، يحزن حين يرى أبناءه يتناحرون ويتقاسمون ويُقتلون باسم المحاصصة المذهبية والزعامات الرعناء الفارغة من أي مضمون».

كتاب كنعان «منشورات دارنلسن» أشبه بسيرة ذاتية، صفحات من عمره وعمر لبنان، أحاديث وحوارات مع الصحافة جمعها المؤلف لتكون فصلًا تاريخياً في السياسة والاقتصاد، وهما في نظره وحدة من جزأين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، خصوصاً في بلد مثل لبنان، يتوقف نموه ويتراجع اقتصاده نتيجة مواقف لا يأخذ أصحابها في الاعتبار حجم ذيولها على حياة البلد ومستقبل بنيه. ما يميّز الكتاب عن غيره من كتب الحوارات الصحافية هو المؤلف نفسه، فهو صاحب باع في السياسة والاقتصاد معاً، درسهما دراسة أكاديمية في الولايات المتحدة، ودرّسهما مادةً في الجامعة الأميركية في بيروت، ومارسهما عملاً حين شغل منصب رئيس مجلس الجنوب لخمس سنوات، لينتقل بعدها إلى منصب النائب الأول لحاكم مصرف لبنان في زمن الحاكم القدير للمصرف، الدكتور إدمون نعيم.

يتحسّر المواطن اللبناني حين يقرأ هذا الكتاب ويرى الأثر الذي أحدثته خلافات السياسيين. ففي حوار مع جورج صليبا وجنان خراط يقول كنعان عن «اتفاق الطائف» إن هذا الاتفاق «جعل من اللبنانيين قبائل، كل قبيلة لها منطقتها ومعتقداتها الدينية، على حساب النخبة من المعتدلين اللبنانيين، لأن المعتدل والنخبوي يرفضان التقوقع المذهبي والطائفي». وفي حوار آخر مع جورج فرح وحنان اللقيس عام 1993 يرفض الدكتور مبدأ الاستدانة بأي ثمن قبل إيجاد الحلول السياسية، وعن ذلك يقول: «القروض المدروسة ليست أمراً سيئاً، شرط أن تُوظَّف بطريقة مثمرة وجدية وفي مشاريع ذات مردود لنتمكن من تسديدها». ويضيف: «تلجأ الدول إلى الاقتراض عندما يكون النظام السياسي متكاملاً بالبنى التحتية والفوقية، في عملية انصهار ووعي متكامل عند المواطنين والمسؤولين حول توظيف القروض».

يقدّم الكتاب رؤية فكرية لتجارب سياسية واقتصادية ومالية عرفها لبنان خلال العقود الأخيرة، من خلال منهج يعتمد الحوار أداة للفهم والتحليل. ولا يأتي السؤال في الكتاب بوصفه مجرد استفسار، بل كأداة لكشف البُنى العميقة للأزمات، فيما يغدو الجواب محاولة لتقريب الحقيقة وتبسيط التعقيدات التي تحيط بملفات الحكم والإدارة والتنمية. يعتمد المؤلف على خبرته الأكاديمية ومتابعته للسياسات العامة، وينطلق من فكرة أساسية مفادها أن أزمات السياسة والاقتصاد ليست وليدة اللحظة، بل هي تراكم لتاريخ طويل من الخيارات غير المتوازنة، وضعف المؤسسات، وتداخل المصالح، وتأخر الإصلاحات البنيوية. وبالنظر إلى التجربة اللبنانية يربط المؤلف بين الفساد البنيوي، وضعف الرقابة، وغياب الشفافية من جهة، وبين الانهيارات الاقتصادية من جهة أخرى. ويشدد في حواراته على أن الإصلاح المالي لا يمكن أن يكتمل ما لم يُرافق بإصلاح سياسي يعيد هيكلة السلطة وآليات اتخاذ القرار.

وتحتل قضايا الإصلاح الاقتصادي حيزاً واسعاً من الكتاب؛ إذ يناقش المؤلف أدوار الدولة والقطاع الخاص، وضرورة الانتقال إلى اقتصاد الإنتاج بدل اقتصاد الريع. ويرى أن السياسات المالية غالباً ما تستجيب للأزمات عبر حلول ظرفية قصيرة الأمد، فيما يتطلّب الواقع خططًا استراتيجية تعالج جذور المشكلة في الدين العام، وهيكلة المصارف، والاستثمار في القطاعات المنتجة، ودعم المعرفة، كما يبرز دور الحكم الرشيد في الحد من الهدر وضبط الإنفاق وإعادة بناء الثقة بين المواطن ومؤسسات الدولة.

وفي الجانب السياسي، يستعرض الكتاب تحديات بناء الدولة الحديثة في بيئة مثقلة بالصراعات وتعدّد مراكز النفوذ وتراجع الهوية الوطنية لصالح الولاءات الضيقة، ويؤكد أن الإصلاح السياسي ليس مجرد تعديلات دستورية أو قانونية، بل هو إعادة صياغة للعقد الاجتماعي نفسه، بحيث تصبح المشاركة والمساءلة وسيادة القانون أسساً لا يمكن تجاوزها. ويتناول نماذج من تجارب دولية نجحت في التحول السياسي، داعيًا إلى الاستفادة منها دون استنساخها.

أما على مستوى الإصلاح المالي، فيطرح الكتاب سلسلة من الأسئلة حول إدارة المال العام، وطرق إعداد الموازنات، وعلاقة المصارف بالاقتصاد الحقيقي. ويحذر من السياسات التي قد تجعل من الدين العام مصدراً للربح السهل بدل أن يكون أداة تنموية. كما يوضح أهمية استقلالية المؤسسات الرقابية ودور القضاء في مواجهة الفساد المالي، ويشير إلى أن أي نهضة اقتصادية لا يمكن أن تتم من دون نظام مالي شفاف يضمن عدالة الضرائب وفعالية الإنفاق.

يُختتم الكتاب برؤية مستقبلية تربط بين المعرفة والحوكمة والتنمية، وتعتبر أن بناء الإنسان ومؤسسات الدولة هو الطريق الوحيد للخروج من الحلقة المفرغة للأزمات. ويؤكد المؤلف أن السؤال يظل مفتاح الإصلاح، وأن الجواب الحقيقي يبدأ حين تتوافر الإرادة السياسية والمجتمعية للانتقال من التشخيص إلى الفعل.

وعلى الرغم مما في الكتاب من رؤى صائبة في كثير من المسائل الاقتصادية، يبقى أن سؤالاً قد يتبادر إلى ذهن من ينظر في محتوى الكتاب: هل يصلح هذا "المحتوى" لكل زمان، أم أن "منطقه" أو ما جاء فيه ظرفي مرتبط بالمرحلة التي دارت فيها أحاديث المؤلف مع الصحافة؟ من ذلك مثلًا ما يتصل بالسرية المصرفية التي كانت وما زالت غطاء لعمليات مشبوهة تستدعي إلغاءها. وعن ذلك يقول المؤلف في حوار له مع حسن مقلد وعدنان حمدان عام 1989: «أنا من المدافعين بالمطلق عن السرية المصرفية لأنها من حيث الناحية العملية، مصدر ثروة للمجتمع اللبناني، شرط ألا تكون مغلقة في وجه السلطات القضائية والسلطة النقدية في مصرف لبنان».

نعتقد أن التحولات التي حدثت في لبنان لجهة السرقات، وحجم الهدر، والفساد الذي استشرى إلى حد لم يعد يُطاق، والسمعة السيئة التي طاولت لبنان في نظامه السياسي والاقتصادي على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، تتطلّب، بل تفرض رؤى مختلفة وحلولًا مختلفة. وفي اعتقادنا أن المؤلف لا بد أن يرى الآن، في هذه المسألة وغيرها من المسائل، غير ما كان يراه بالأمس! ■

*كاتب وناقد لبناني

سيرغي يسينين: شاعر الوجوديّة الحزينة

سوريا ـ فاطما خضر*

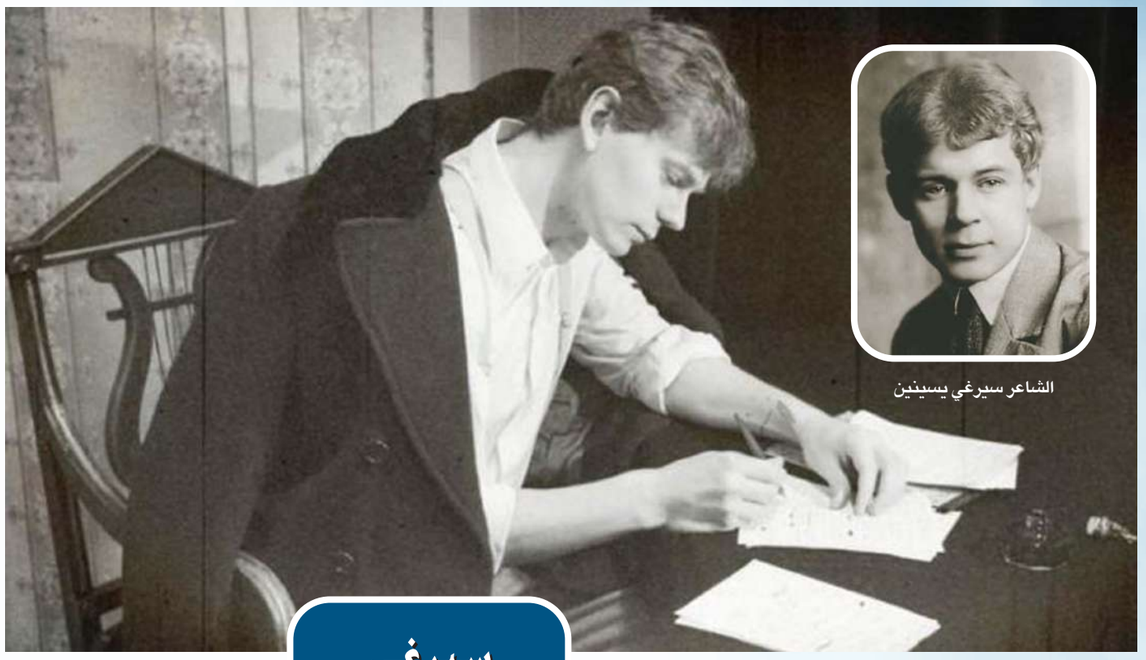

الشاعر سيرغي يسينين

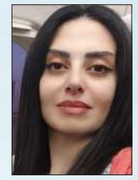

بين لوحات جدارية، وتماثيل تتباين في أحجامها من ضخمة إلى صغيرة، تُخلّد روسيا ذكرى واحد من ألمع شعراء العصر الفضّي الروسي، تقديراً لمكانته في الأدب الروسي، وشعبيته الواسعة.

تتوزّع هذه التماثيل في الأماكن العامة (المنتزهات، والساحات، والمدارس، والمتاحف)، بين موسكو وضواحيها، وأشهرها ذلك الذي ينتصب في الميدان الذي حمل اسمه «ميدان سيرغي يسينين»؛ وسانت بطرسبرغ التي ضمّت أيضاً عدداً من تماثيله في أماكن مختلفة؛ ومسقط رأسه كونستانتينوفو، حيث يعلو ضريحَه تمثالٌ يظهر فيه كما كان: شاباً وسيماً ذهبيَ الشعر، متّقد العاطفة.

يتزنّر الضريح طوال السنة بباقات من الأزهار، وضعها عشّاق الروح اليسينينية، وشعراءٌ يأتون تارةً فرادى وتارةً جمعاً، يقرأون على الملأ قصائدهم ليتباركوا بروح الشاعر «سيرغي ألكسندرفيتش يسينين» (1895 – 1925).

شاعر الريف والوطن

تنوّعت ألقابه، وأشهرها في روسيا: «شاعر روسيا الوطني»، و«شاعر الريف». إذ حمل معجمُه الشعري صوتَ الريف الروسي وروحَه، وحفيفَ أوراق البتولا، وعواءَ الكلاب ووفاءها، وأغاني السياج في القرى الزرقاء.

عاش يسينين حياةً قصيرةً، ثلاثين عاماً فقط، لكنّه ترك إرثاً شعرياً غنياً منحه الخلود والشهرة والألقاب والعشّاق، ليس فقط في روسيا، بل حول العالم.

تُرجمت أعماله إلى اثنتَين وثلاثين لغةً، من بينها العربية. ومن أهم المترجمين العرب الذين نقلوا إلينا قصائده الغنائية الوجدانية: الطبيب والمترجم السوري «إبراهيم إستنبولي»، الذي ترجم عدداً كبيراً من قصائده، وكتب عنه عدّة مقالات، أهمها المقالة التي نُشرت في الملحق الثقافي لجريدة السفير، منذ ما يقارب العشرين عاماً، وأطلق عليه خلالها لقب «كمنجة روسيا الحزينة»؛ والكاتب والمترجم العراقي «جودت هوشيار» الذي ترجم وكتب بدوره الكثير عن يسينين وأطلق عليه لقب «شاعر الروح الروسية»؛ والناقد والمترجم السوري «ثائر زين الدين»؛ والكاتب والمترجم العراقي «علاء الفريجي»؛ وغيرهم...

شهادات مبدعين

تنوّعت العوالم الشعريّة للشاعر الشاب والوسيم، والتقت جميعها في عشق روسيا وريفها. حيث قال عنه الروائي والشاعر والسيناريست الروسي «يفغيني يَفتوشينكو» (1932–2017): «كان يسينين أكثر الشعراء روسيةً»، «كان يسينين يتكلّم شعراً».

في حين وصفه الكاتب والشاعر الروسي بوريس باسترناك (1890–1960): «لم تلد الأرض الروسية مَن هو أكثر أصالةً، وأكثر عفويةً، وأكثر وطنيةً، وأفضل توقيتاً، من سيرغي يسينين».

في نهاية كانون الأوّل (ديسمبر) عام 1925، عندما وصل خبر وفاة يسينين إلى الروائي والكاتب المسرحي مكسيم غوركي (1868–1936) الذي كان حينها في برلين، بكاه قائلاً: «سيرغي يسينين ليس رجلاً، بقدر ما هو كيان خلقته الطبيعة للشعر حصراً، للتعبير عن حزن الحقول الذي لا ينضب، وعن الحب لجميع الكائنات الحيّة في العالم. والأهم من ذلك، للتعبير عن الرحمة التي يستحقها الإنسان».

نهاية غامضة

في ذلك اليوم الحزين البارد، عندما لم يجد يسينين حبراً، معه، كتب بدمه آخر قصائده: «وداعاً، وداعاً يا صديقي، أنت في القلب منّي/ ما فراقنا هذا، إلّا ليعدنا بلقاء لاحق/ وداعاً يا صديقي/ بلا كلام ولا سلام/ لا تحزن، ولا تعقد حاجبيك/ ليس بالجديد أن نموت في هذه الدنيا/ وبالطبع، ليس بالأكثر حداثة أن نعيش». وبعدها وُجد داخل غرفته في فندق «أنغليتير»، في مدينة لينينغراد (بطرسبرغ حالياً) منتحراً أو مقتولاً!

في حين أظهرت الدراسات اللاحقة بالأدلة أنّه لم ينتحر، وإنّما قُتل على يد المخابرات البلشفية، نظراً لآرائه المعادية للسلطة حينها، وأشعاره ذات الطابع القومي. وتلقى هذه الرواية قبولاً في أوساط الرأي العام الروسي أكثر من رواية الانتحار الرسمية، التي دوّنت كنيته بشكل خاطئ، إذ كُتب «ديسينين». وفي رواية ثالثة، قيل أنّ اليهود هم من قتلوه، بسبب معاداته للسامية.

لاحقاً، رداً واحتجاجاً على انتحاره (حسب الرواية الرسميّة)، كتب الشاعر فلاديمير مايكوفسكي: «كوكبنا غير مُهيّأ للفرح/ علينا أن ننتزع السعادة من الأيّام القادمة/ ليس صعباً أن نموت في هذه الدنيا/ والأكثر صعوبة أن نصنع الحياة!».

بصرف النظر عن تلك الروايات، يبقى يسينين الشاعر الأكثر شعبية والأقرب إلى قلوب الروس، فهم يحفظون قصائده العابقة برائحة الريف، ويردّدونها إلى يومنا هذا. فقد عكس فيها الأصل الذي جاء منه، قرية كونستانتينوفو، حيث وُلد في كنف عائلة فلاحيّة فقيرة، وقضى طفولته في أحضان الطبيعة التي وقع في غرامها، حتّى صار كما قيل: «آخر شعراء القرية الروسية». ومن ذاك الريف الذي سكن خياله الشعري، جاء إلى المدينة بقلب يعجّ بالقصائد الغزيرة بالحب والطبيعة والحزن الشفيف.

الكلب رفيق يسينين الوجودي

لم يكن يسينين شاعراً وحسب، بل كان أشبه بساحر يحوّل المفردات الوجوديّة إلى انزياحات شعرية تصير قصائد. حيث امتلك قدرةً فريدةً على تحويل الملموس إلى مجرّد، والعادي إلى أسطورة.

فعلى سبيل المثال، في قصيدته السردية «أغنية عن كلبة» حوّل دموع الكلبة إلى نجوم من ذهب: «ومثلَ كلبة يمازحونها/ ألقوا عليها حجراً كصدَفة/ خبأ نشيجُها/ونهال فوق الثلج دمعُها/ مثل نجوم من ذهب». وفيها نسج من حادثة بسيطة ومأساوية في آن واحد، نشيدَ رثاء للبراءة والقسوة، للأمومة والمعاناة، يبدو ظاهرياً عن قصة كلبة تَلدُ سبعة جراء، يسرقها منها صاحبها المزارع ويُلقي بها في النهر، لكن في جوهره استعار معاناة أمّ كلبة، ليحكي عن معاناة الأمومة البشرية. وبذلك، غدت القصيدة تأمُّلاً في طبيعة الألم، وفي قسوة الإنسان العابثة، وفي نقاء الحب الأمومي، وفي كيفية تعامل الكائنات الأضعف مع فقدان معنى وجودها.

تردَّدت مفردة الكلاب في قصائد أخرى لشاعر الريف، جاعلاً منها جسراً بين الإنسان والطبيعة، حمل معاني: الوفاء، والبراءة، والمعاناة، والغريزة، والرغبة في القبول. ففي قصيدة «كلب كاتشالوف»، ناجى يسينين في قالب حواري درامي كلب صديقه كاتشالوف الممثّل الشهير في مسرح موسكو، جاعلاً من مصافحة هذا الكلب طقساً شعرياً: «هات يا جيم يدك عهداً على السعادة». بدأ بعدها بقلب الأدوار، إذ لم يعد الكلب مجرّد حيوان أليف بل مانح غفران، وشاهداً على حياة الشاعر، وحاملاً لبراءة فقدَها الشاعر، والصديقَ الوحيد الذي يمكن البوح له.

وكَمُن جمال هذه القصيدة في استعلاء يسينين للمشاعر، إذ رفع الكلب إلى مستواه الإنساني ووجد فيه رفيقاً وجودياً. فأصبحت القصيدة أشبه بصلاة شاعر أدرك أنّه أخطأ، وعرف أنّه سيواصل الخطيئة، وطلب الغفران ممن لا يستطيع فهم مفهوم الخطيئة أصلاً: «يا عزيزي جيم/ كم كانَ بينَ ضيوفكَ/ من أصناف وأصناف/ لكنَ تلك الأكثر صمتاً وحزناً من الجميع/ أما مَرَّت فجأةً؟ إنها ستأتي، أضمن لك هذا/ عندئذ ثَبِّتْ عينيكَ عليها عَنّي/ ولأجلي الحس برقّة يَدِها/ مُكفِراً عن كل ما اقترفتُهُ منَ ذنوبٍ وما لم أقترفه».

احتلّت شجرة البتولا، التي تمثّل رمزاً في الثقافة الروسية، يتعدّى طقسَ المشي في غاباتها البيضاء والفضية، إلى رمز للنعمة والقوّة والجمال الطبيعي للمرأة الروسيّة، وإلى رمز يرتبط بالحبّ والزواج؛ مكانةً عاليةً في قصائد شاعر الريف، إذ ترددّت في كثير من قصائده، كما ترددّت في الأغاني الروسيّة الفلكلورية.

مثّلت البتولا ليسينين ذاته الثانية وانعكاساً لروحه: روسيّة، حزينة، أنثوية، جميلة في ثوبها الأبيض ولكنها تبكي تحت هذا الثوب. فالبتولا، من أوائل الأشياء التي حنَّ إليها بعد بريق شعر الحبيبة البعيدة في قصيدته «أذكرُ يا حبيبتي، أذكر»: «أذكر ليالي الخريف/ حفيفَ ظلال البتولا».

وفي قصيدته «سهوبٌ ثلجيةٌ، قمرٌ أبيضٌ»، التي كتبها في عام وفاته، واعتبرت بمثابة نبوءة الشاعر التي تحقّقت؛ جعل من البتولا قلب التراجيديا، وحوّلها إلى جوقة أشبه براهبات في مأتم، أو أشباحاً في جنازة، تبكي بكاءً صامتاً مجمّداً: «كفن يُغطي البلاد/ وأشجار البتولا بأرديتها البيضاء تبكي في الغابات/ من قُتلَ هنا؟ من مات؟ تُرى ألستُ أنا نفسي؟». وجعل القصيدة بمجملها منبتاً للتناقضات: جمال يتحوّل إلى كفن، طبيعة صامتة تبكي مصير الشاعر، اغتراب نفسي أصبح به الشاعر بذاته شاهداً على موته.

لون التناقض الوجودي

احتلّ اللون الأزرق بتدرجاته إلى جانب البتولا والكلاب، مكانةً في قاموس يسينين الشعري، أصبح فيه طيفاً من المشاعر والرموز الوجودية، التي ظهرت في كثير من القصائد. ففي «أذكر يا حبيبتي» تغدو السنوات زرقاء. وفي «مساءٌ أزرقٌ، مساءٌ مُقمرٌ» إلى جانب المساء، السعادة أيضاً زرقاء. وفي «قبّليني، هيّا قبّليني» الأحلام زرقاء، كناية عن جنة وهميّة شخصيّة خلقها في خياله. وفي «كلب كاتشالوف» منح السنوات الجميلة هذا اللون. وفي «معطفٌ سماوي اللون، عينان زرقاوان» حمل المعطف وعينا المحبوبة اللون الأزرق بتدرجاته. وفي «لم أكن في يومٍ من الأيام في البوسفور» إلى جانب البلاد البعيدة الزرقاء، التي أشار بها إلى روسيا الحلم، أرض الجمال المطلق؛ عينا المحبوبة أيضاً كالبحر سماويتين.

وهكذا صار الأزرق عند يسينين لون التناقض الوجودي، الذي رسم به قصائده: جمالٌ حزينٌ يجرح، وسماءٌ تعلو لكنّها لا تحمي، وحنينٌ إلى وطن هو نفسه مصدر الألم.

(2025) عامُ يسينين في روسيا

يتسع معجم يسينين الشعري، أكثر بكثير من المفردات والقصائد المُشار إليها هُنا. وبقراءة المزيد منها، يشعر القارئ بأنّ يسينين شاعر الوجودية الحزينة، الذي ما يزال إلى يومنا هذا يحظى بشعبية عالية، فما أن تصدر طبعات جديدة من أعماله حتّى تنفد. وتحمل العديد من الشوارع والمكتبات، والمؤسسات الثقافية في روسيا اسمه. وتُزيِّن صوره واجهات المتاجر والمكتبات على امتداد الجغرافيا الروسية.

بل أكثر من ذلك، إذ أعلنت السلطات الثقافية الروسية أنّ عام (2025) هو عام يسينين في روسيا، حيث أقرّت الاحتفاء به طوال هذا العام، الذي يتصادف فيه الذكرى الـ 130 لميلاده (3 أكتوبر 1895)، والذكرى المئوية لوفاته (28 ديسمبر 1925). ويُقام بهذه المناسبة العديد من الفعاليات الثقافيّة التي تحمل اسمه: (مهرجانات شعرية – معارض فنية (عروض مسرحية مستوحاة من حياته وأعماله) قراءات عامة لأشعاره بمختلف اللغات وغيرها...).

وقد صرّحت وزيرة الثقافة في الاتحاد الروسي، أولغا ليوبيموفا: «إنّ سيرغي يسينين ليس مجرّد اسم في تاريخ الأدب الروسي، بل هو رمزٌ للعلاقة الوثيقة بين الشعر وروح الشعب الروسي. واحتفالاً بذكراه، نسعى جاهدين لتوحيد جميع القوى الثقافية في البلاد؛ فكل مشروع وكل فعالية هي خطوة نحو الحفاظ على إرثه، وبشكل عام نحو تعزيز التواصل بين الأجيال من خلال الفن والأدب. ومن المقرر تنظيم العديد من الفعاليات في جميع أنحاء البلاد بمناسبة ذكرى الشاعر العظيم في المتاحف والمسارح والمكتبات والمؤسسات التعليمية ودور النشر والمجتمعات العلمية التي تدرس الإرث الإبداعي للشاعر/ ترجمة: جودت هوشيار». ■

*كاتبة ومترجمة

الكاتبة والروائية السعودية د. زينب الخضيري لـ«الحصاد»:

المرأة السعودية تصنع الفرص لا تبحث عنها

الرياض: رنا خير الدين*

تمثّل الكاتبة والأديبة والروائية د. زينب الخضيري روحاً أدبية وفكرية قوية في المشهد الثقافي السعودي، تجمع بين القلم والفكر والالتزام الاجتماعي، شبهها النقّاد في بعض الجواهر الفكرية للكاتبة الفرنسية سيمون دي بوفوار من حيث الرغبة في تحليل الواقع، نقد الأعراف، الحرية، الهوية، والمساواة، لكن الخضيري تختلف في السياق، الأدوات الأدبية، والموضوعات التي تواجه واقعاً.

تعدّ الدكتورة زينب إبراهيم محمد الخضيري، من أبرز الوجوه الثقافية في المملكة العربية السعودية، ولدت في الرياض، وحصلت على درجة دكتوراه الفلسفة في الإدارة التربوية تخصص إدارة تعليم عالٍ من جامعة الملك سعود، ما عكسَ شغفها بالتعلّم والبحث.

تتمتّع هذه الروائية الشغوفة بمسيرة مهنية متنوعة وغنية، إذ تعمل حالياً مستشارة ثقافية وأستاذاً مشاركاً بجامعة الملك سعود.

بدأت الخضيري رحلتها في عالم الكتابة مبكراً، في سن الثامنة عشرة، ونشرت مقالاتها في صحف ومجلات رائدة مثل جريدة الجزيرة (أول جريدة نشرت لها)، والمجلة العربية، ورسالة الجامعة الصادرة عن جامعة الملك سعود. امتدت مساهماتها لتشمل عموداً أسبوعياً في جريدة اليوم من عام 2009 إلى 2013، ثم استكتبها الأستاذ تركي السديري لتكتب في صحيفة الرياض من عام 2013 إلى 2025، ثم انتقلت للكتابة في منصة ميدار الإماراتية. لم يقتصر عطاء الخضيري على الكتابة الصحفية؛ ففي عام 2008، أطلقت مدونتها الإلكترونية «باندورا»، والتي تعني "المرأة التي منحت كل شيء"، لتكون منصة إضافية لأفكارها وإبداعاتها. كما أنها مؤسسة لعدد من المبادرات الثقافية المهمة، منها بيت الرواية (2018)، وملتقى هن سعوديات (2017)، ورفيف كتاب (2016).

شاركت الخضيري بفعالية في المحاضرات الثقافية داخل المملكة وخارجها ومن ابرزها قدمت ورقة عمل في اليونيسكو باريس عام 2018، ولها العديد من المشاركات التلفزيونية والإذاعية، بالإضافة إلى لقاءات صحفية متعددة؛ ما يؤكد حضورها القوي في الساحة الإعلامية والثقافية.

● «الحصاد»: تحمل فترة البدايات الكثير من الطموح، الانكسارات والتجارب. كيف تصفين هذه الفترة؟

○ د. زينب الخضيري: حملت تلك الفترة شغفاً بريئاً، وخوفاً من الفشل، ومحاولات متكررة للعثور على ملامحي بين التجربة والخطأ. تعلّمتُ فيها أن الطريق لا يُرسم دفعة واحدة، بل يُكتشف بخطوات مترددة وصبورة. و الانكسارات جزءٌ من التكوين، وليست نهاية، بل طريقة أخرى للنضج. والطموح هو الخيط الوحيد الذي ظلّ يشدني للأمام رغم كل التعب.

● «الحصاد»: من هم الكتّاب الذين تركوا بصمتهم في بداياتك؟

○ د. زينب الخضيري: في بداياتي، كان هناك كتّاب تركوا فيّ أثراً عميقاً، لا لأنهم فقط أبدعوا في الكتابة، بل لأنهم جعلوني أؤمن أن الأدب يمكن أن يكون حياة موازية، وأن الكلمة قادرة على التغيير. تأثرتُ بالعُمق الإنساني عند نجيب محفوظ، كيف يحوّل الحارات والوجوه البسيطة إلى عوالم فلسفية نابضة. ووجدتُ في غادة السمّان الجرأة التي كنت أبحث عنها لأقول ما لا يُقال، ومن محمود درويش تعلّمتُ أن الشعر يمكن أن يكون وطناً، وأن الجمال لا ينفصل عن الوعي. كما ألهمتني فيرجينيا وولف في تأمل الذات والكتابة من الداخل، وكافكا في فهم الغربة كحالة وجودية لا كحادثة عابرة. كلّ واحد منهم ترك بصمة مختلفة، محفوظ منحني التوازن بين الواقع والفكرة، درويش أكّد لي أن للغة جناحين، وغادة السمان منحتني شجاعة الانكسار الجميل، أما وولف وكافكا فتحا لي باب الأسئلة التي لا تُغلق أبداً. أما باولو كويلو تعلّمت منه البُعد الرمزي في الحكاية، وكيف يمكن للأسطورة أن تضيء الطريق الواقعي، ومن أمين معلوف القدرةعلى فهم فكرة الهويّة المركّبة والرحلة الإنسانية التي تتجاوز الحدود. كلّ هؤلاء كانوا بمثابة محطات ضوء؛ بعضهم علّمني اللغة، وبعضهم الوعي، وآخرون علّموني أن الكتابة ليست ترفًا، بل طريقة للنجاة.

● «الحصاد»: هل تعتبرين أن التجربة الأدبية لديك باتت شغفاً؟

○ د. زينب الخضيري: نعم، أستطيع أن أقول إن التجربة الأدبية عندي لم تعد مجرد محاولة أو هواية عابرة، بل أصبحت شغفاً حقيقياً يرافقني في كل تفاصيل حياتي. لم تعد نشاطاً جانبياً أمارسه حين يتسع الوقت، بل تحوّلت إلى طريقة في النظر إلى العالم، وإلى نفسي، وإلى الآخرين. وأعبّر بها عن أشياء لا تُقال في العلن، وأصنع بها جسوراً بين ما أعيشه وما أحلم به.

● «الحصاد»: من كتاباتك، يظهر أن المواقف تلهمك، والواقع يجذبك، وتتأثرين بالأشخاص والذات. كيف توفقين بين كل هذه المؤثرات من خلال الرواية؟

○ د. زينب الخضيري: أرى الرواية ككائن حيّ يتغذّى من كل ما يحيطني: من المواقف العابرة، والوجوه التي تمضي ولا تعود، ومن الحوارات التي تُقال بنصف وعي في المقاهي أو الممرات. الواقع بالنسبة لي ليس مجرد خلفيّة للسرد، بل هو المادة الخام للخيال، والشرارة الأولى التي تشعل الحكاية. فحين أكتب، لا أتعامل مع الموقف كما هو، بل أُعيد تشكيله داخل مختبر عقلي. الموقف الواقعي قد يتحوّل إلى رمزيّة، والشخص الحقيقي إلى ظلٍّ يتنكر في شخصية أخرى. مثلما فعل نجيب محفوظ حين جعل القاهرة بطلة تتحدث بلغات أحيائها، أو كما صاغ غارسيا ماركيز الواقعية السحرية من حياة قريته الصغيرة "أراكاتاكا". الأشخاص الذين يعبرون حياتي لا أكتبهم كما هم، بل كما ينعكسون في مرآة ذاتي. الذات أيضاً ليست بعيدة، فهي الينبوع الذي يُصفّي كل هذه التجارب، يحوّلها من واقع إلى حقيقة شعورية.التوفيق بين كل هذه المؤثرات يشبه الرقص على خيط رفيع بين الواقع والخيال. أستمع لما يقوله الواقع، لكنني لا أكتبه كما هو؛ أترك له أن يتماهى مع تأملاتي، أن يختلط بما لم يحدث بعد، أن يتنفس بعمقٍ سرديّ يمنحه الحياة.

● «الحصاد»: تكتبين المقالة الصحفية والفكرية. بما يختلف ذلك عن الكتابة الأدبية والرواية؟

○ د. زينب الخضيري: الكتابة في الصحف تشبه الوقوف في ساحة الضوء، بينما الكتابة الأدبية والرواية تشبه السير في ممر داخلي طويل لا يراك فيه أحد، لكنك ترى نفسك فيه بوضوح. في المقالة الصحفية، أكتب للقارئ مباشرة، أحاوره، أستجيب لنبض اللحظة، وأحاول أن أقول شيئاً واضحاً ومؤثراً في مساحة محدودة. هناك وعي بالزمن والحدث، ومسؤولية تجاه الرأي العام، فاللغة يجب أن تكون دقيقة، والهدف محدد، والفكرة قابلة للقبول أو النقاش، إنها كتابة عقلانية وموضوعية حتى وإن كانت تمسّ القلب. أما في الرواية، فأنا أكتب من الداخل إلى الخارج، أترك اللغة تقودني لا العكس، لا أسعى لإقناع أحد، بل لاكتشاف ما لا أعرفه بعد، الرواية تمنحني حرية التأمل، والانغماس في التفاصيل، وتمنح الفكرة زمنها الطبيعي لتنضج. إنها مساحة للتجريب، والبوح، والتساؤل، بينما المقال مساحة للتوضيح والإضاءة والتحليل. أحياناً أشعر أن المقالة تشبه نبضة فكرية سريعة، والرواية تنفّس طويل للحياة. كلاهما يكمّل الآخر.

● «الحصاد»: كنت من أوائل المدوّنين وأنشئت مدوّنة إلكترونية «باندورا» التي تعني "المرأة المانحة"، كيف ترين بهذا الصدد المرأة السعودية اليوم؟

○ د. زينب الخضيري: أرى المرأة السعودية اليوم قد تجاوزت مرحلة البحث عن الاعتراف إلى مرحلة المشاركة الفاعلة في صناعة الواقع، لم تعد تنتظر الفرصة، بل تصنعها، وتخوض مجالات كانت حكراً على غيرها، بثقة ووعي جديد. من خلال «باندورا»، كتبت عن التحوّل الداخلي الذي تعيشه المرأة السعودية: بين طموحها الشخصي، وصوت المجتمع، ومسؤولياتها اليومية. لقد أصبحت أكثر حضوراً في الفكر والاقتصاد والثقافة، وأكثر قدرة على أن تعبّر عن ذاتها دون خوف من الأحكام أو الصور الجاهزة. ومع كل هذا التقدّم، لا تزال تواجه تحديّات التوازن بين الطموح والواجب، بين الحرية والقبول الاجتماعي، لكنها اليوم أكثر وعياً، وأقل تردّداً. حيث المرأة السعودية اليوم لا تشبه ما كانت عليه بالأمس، لكنها أيضاً في رحلة مستمرة للتشكّل والنضوج. باختصار، أرى المرأة السعودية اليوم كشجرة تنمو بثبات، جذورها في التاريخ، وأغصانها تمتد نحو السماء، تعانق المستقبل، لكنها تحتاج دوما أن تُروى، بالتشجيع، بالدعم، بالفرص، بالاعتراف، والحرية.

● «الحصاد»: كتبت عن المدن الاسمنتية في كتاب "فيروز وشوارع الرياض" هل تحب زينب الخضيري المدن الكبيرة وماهي بصمتك عليها حدثينا عن هذا الكتاب؟

○ د. زينب الخضيري: كتابي "فيروز وشوارع الرياض" هو محاولة لالتقاط نبض الحياة، شوارع المدينة، المقاهي، المباني القديمة، وحتى الزوايا الخفية التي تحمل حكايات الناس اليومية. فأنا لا أحب المدن فقط كمكان، بل ككائن حيّ يتنفس ويؤثر فينا كما نؤثر فيه، بصمتي فيه كانت في رؤية المدينة من الداخل، من خلال تفاصيل صغيرة قد يغفلها المارة، محاولة لتسجيل الحكايات الصغيرة، الانفعالات، وحتى السكون الذي يختبئ بين حركة الحياة اليومية "فيروز وشوارع الرياض" يلتقط نبض المدينة من زواياها الخفيّة وتفاصيلها الصغيرة، ليقرأ المدينة كما نقرأ إنساناً، بكل تعقيداته وغموضه.

● «الحصاد»: روايتك "هياء" احتفى بها النقّاد وتمت مناقشتها وتحولّت إلى مشروع في أكثر من رسالة ماجستير في الجامعات السعودية ما شعورك وأدبك بين يدي الطلاب؟

○ د. زينب الخضيري: أن يتحوّل أدبك إلى مادة تُدرس ويصبح موضوعاً لأبحاث ورسائل علمية يعني أن كلمتك لم تبقَ مجرد تجربة شخصية أو متعة قرائية، بل صارت جزءاً من حوار ثقافي وفكري يُثري العقل والخيال. هناك شعور بالفخر، نعم، لكنه مختلط بالمسؤولية؛ لأن الأدب حين يُدرس يصبح مسؤولية مضاعفة عن عمق التحليل وصدق التعبير. باختصار، وجود أدبك بين أروقة الجامعات يشبه أن تكون جزءاً من نسيج معرفي حيّ، حيث تتحول الكتابة من تجربة فردية إلى حوار مستمر مع الأجيال المقبلة، مع كل فخر وامتنان لهذا الاعتراف.

● «الحصاد»: «روايتك على كف رتويت» لاقت أصداء إيجابية كثيرة في الوسط الثقافي. ما الذي يميزها وكيف ولدت فكرتها؟

○ د. زينب الخضيري: روايتي "على كف رتويت" لم تقتصر على مناقشة حضور وسائل التواصل الاجتماعي في حياتنا، بل رصدت التحوّلات النفسية والاجتماعية التي تصنعها هذه الوسائل على الفرد والمجتمع. الفكرة ولدت من الملاحظة اليومية لكيفية تداخل العالم الرقمي مع حياتنا الواقعية، وكيف يمكن لكلمة، تعليق، أو مشاركة صغيرة أن تغيّر المزاج، تصنع صداقات، أو حتى تهدم جداراً من الخصوصية.

● «الحصاد»: كيف تتعاملين مع لحظات العزلة؟ وهل لديك عادة خاصة أثناء الكتابة؟

○ د. زينب الخضيري: العزلة بالنسبة لي ليست فراغاً، بل مساحة للتأمل وللتواصل مع الصوت الداخلي. أحياناً أستلهم أفكاري وأعالج مشاعري في صمت طويل، أكتب وأعيد القراءة وأترك للأفكار أن تتنفس قبل أن تتحول إلى كلمات.

* كاتبة وصحافية

النص الكامل على موقعنا الإلكتروني

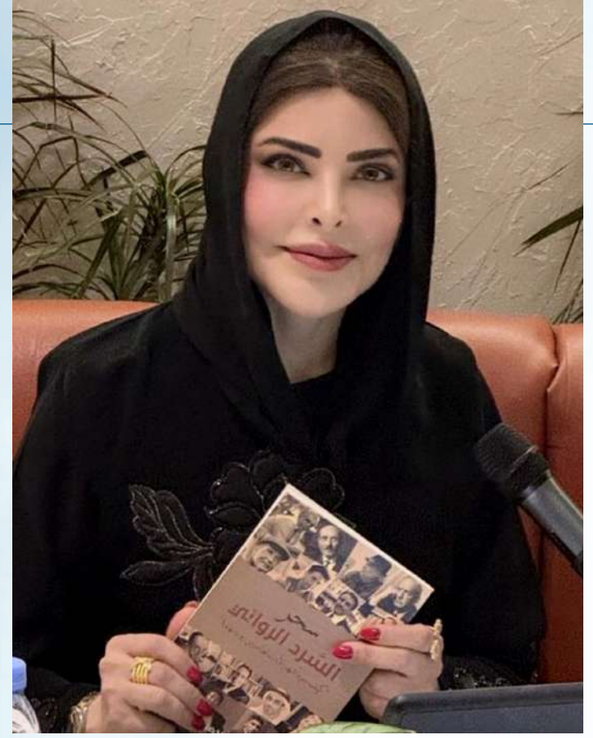

رواياتها احتفى بها النقّاد وأثرت المكتبة الطلابية والتعليمية.

الكاتبة والأديبة والروائية د. زينب الخضيري.

المهمل... مدخل لديمومة بحور الشعر والتجديد فيها

لندن: د. حسين رشيد الطائي*

من نافل القول إن الشعر العربي بناءٌ صوتي هندسي يقوم على ستة عشر بحرًا؛ وهي البحور التي ابتكرها العالم الكبير فريد دهره ووحيد عصره الخليل بن أحمد الفراهيدي فيما عرف بعد ذلك بالدوائر الشعرية التي نسبت اليه وأطلق عليها دوائر الخليل بن أحمد الفراهيدي وعرفت بـ (العروض) (وتتضمن خمسةَ عشرَ بحرا ابتكرها الفراهيدي واضاف الأخفش بحرا آخر)؛ وهي الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والهزج والرجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث والمتقارب والمتدارك.

يقول الشاعر:

وأبحرُ الشعر التي تُستعمل
ستة عشر وسواها مهملُ
بها أتى الخليلُ إلا واحداً
فإنهم تداركوه زائداً

وجاء أن هناك ستة بحور أُهملت ولم ينظم الشعراء وفقها هي المستطيل أو الوسيط. والممتد أو الوسيم. والمتوفر أو المتوافر. والمتئد والمنسرد والمطّرد.

فبحر المستطيل إيقاعه يشبه الطويل لكنه أقصر قليلاً، ويُعطي إحساساً بالاستطالة الهادئة ومن هنا جاء اسمه (المستطيل). قال أحد المولدين:

لَقَدْ هَاجَ اشْتِيَاقِي غَرِيرُ الطَّرْفِ أَحْوَرْ
أُدِيرَ الصَّدْغُ مِنْهُ عَلَى مِسْكٍ وَعَنْبَرْ

وهو يتكون من أربعة أجزاء في البيت، لكنه أقل مرونة من الطويل، مما يجعله صعباً في التعبير عن المعاني المعقدة.

أما المتواتر فإيقاعه سريع ومتتابع من (التواتر) أي التتابع، وهو يشبه الرجز لكنه أكثر هدوءاً وتأنياً. أما المتئد فهو من التأني وهو يُعطي إحساساً بالتدفق المتواصل دون توقف.ومن الأمثلة عليه قول أحدهم:

مَا وُقُوفُكَ بِالرُّكَائِبِ فِي الطَّلَلْ؟!
مَا سُؤَالُكَ عَنْ حَبِيبِكَ قَدْ رَحَلْ؟!
مَا أَصَابَكَ يَا فُؤَادِي بَعْدَهُمْ؟!
أَيْنَ صَبْرُكَ يَا فُؤَادِي مَا فَعَلْ؟!

وهو قصير نسبياً يناسب القصائد الوصفية أو قصائد الحكمة، لكنه يفتقر إلى التنويع الزحافي. أما أسباب أهمال هذه البحور فهي متنوعة وكثيرة منها الصعوبة الإيقاعية؛ فالمستطيل والمتواتر مثلاً يتطلبان دقة عالية في الوزن، وقلة الزحافات. ومنها الإيقاع غير المألوف للأذن العربية الحديثة؛ فقد سيطر البحر الطويل على شعر الملاحم كالمعلقات، والرجز على الهجاء والفخر. وفي العصر العباسي تم التركيز على البسيط والكامل للغزل والمديح؛ أما المستطيل فلم يذكر إلا نظرياً في كتب العروض.

إلا اننا من المهم أن نذكر ان البحور المهملة وان أهملت كأوزان كاملة إلا ان مجزوء تفعيلاتها ما زال مستعملاً الى يومنا هذا علما ان هذه التفعيلات تشترك مع غيرها من تفعيلات البحور الشعرية الأخرى.

وربما يرجع سبب إهمال الكثير من البحور الشعرية الى أن بعضها يحتاج لمفردات نادرة وتراكيب ثقيلة مثل بحر المتدارك الذي يتطلب أربعة أجزاء (فَعُولُن) في الشطر الواحد، وهذا يصعب معه إيراد كلمات عربية شائعة دون حشو أو تكلّف. والسبب الأخر وهو الأهم تأثير إيقاع البحر في النفس الإنسانية لميلها الشديد بالشعور بالثبات والوقار وهو ما يتوافق مع إيقاع الطويل والبسيط والكامل؛ ولا يتوافق مع البحور الشعرية ذات الإيقاعات السريعة والتفعيلات المكررة كالمتقارب الذي أصبح النظم عليه شبه نادر، وكذلك المتدارك الذي يعد أسرع من الأول، فيما خصصت بعض الإيقاعات لمجالات محددة كالخفيف الذي لازم الغناء والأناشيد. ويرى بعض الباحثين أن السبب الحقيقي وراء إهمال بعض البحور الشعرية هو عزوف معلمي العروض في القرنين الثالث والرابع الهجريين عن تعليم الطلاب بعض البحور الشعرية التي أضحت شبه مهملة واقتصارهم على المشهور منها كالطويل والبسيط والوافر وغيرها. إضافة لأسباب أخرى منها قلة الاستشهاد والتمثيل بها خاصة في كتب العروض، كما أن مناهج التعليم المدرسية بالخصوص تركز على أربعة أو خمسة بحور شعرية فقط من البحور التي يكثر ويشيع استعمالها وتهمل البقية. ولا ننسى أنه مع شيوع اللحن وانتشار العامية أصبح من الصعب النظم على هذه البحور التي تتطلب جهدا لغويا كبيرا.

وبالضد من هذا الاهمال الذي رأيناه في المشرق حدث في الأندلس انفجار إيقاعي كبير؛ حيث استعمل الشعراء الخفيف والمنسرح والمقتضب في الموشحات، وأدخلوا الزحافات والزحافات المركّبة حتى صار الخفيف يُغنّى على إيقاع »يا مالكًا قلبي« و»لمّا بدا يتثنى«. فيما بدا لشعراء كبار معروفين كابن زَيدون وابن خفاجة والأعمى التُطيلي وغيرهم أن يكسروا احتكار البحور الكبرى كالطويل والبسيط والكامل والخفيف للأوزان الشعرية.

وهناك الكثير من محاولات إحياء البحور الشعرية المهملة أو شبه المهملة؛ منها استعمال تفعيلاتها في قوالب أخرى غير قوالبها التي عرفت بها. ومن أبرز من ابتكر نظاماً شعرياً جديداً منتصف القرن العشرين الشاعران الكبيران بدر شاكر السياب ونازك الملائكة. وهذا النظام يعتمد على تكرار تفعيلة واحدة (مثل (مفاعيلن) أو (فعولن) بأعداد متغيرة في كل سطر، مع حرية في القافية، دون الالتزام بشطرين متساويين أو ببحر كامل. وهو إيقاع داخلي يولّد موسيقى عضوية، مستوحاة جزئياً من الشعر الإنجليزي الحر، لكنه عربي الأصل في جوهره. ويعد كلاهما رائدي هذا النوع من الشعر الذي أطلق عليه)شعر التفعيلة) أو (الشعر الحر) والمبتكرين الرئيسين له بغض النظر عن القضية الجدلية المشهورة فيمن سبق أولًا اليه؛ ولقد كسر هذا النظام وحدة البيت التقليدي، وأعطى القصيدة وحدة عضوية واحدة. وفي ذلك تقول الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) ان (الشعر الحر شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت، يصح أن يتغير عدد التفعيلات من شطر إلى شطر).

تقول في قصيدتها:

سكَنَ الليلُ
أصغِ إلى وقْعِ صَدَى الإنَّاتْ
في عُمْقِ الظلمةِ. تحتَ الصمتِ.
على الأمواتْ
صَرَخَاتٌ تعلو. تضطربُ
حزنٌ يتدفقُ. يلتهبُ
الى أن تقول:
الموتُ.. الموتُ.. الموتْ

وكذلك فعل الشاعر الكبير بدر شاكر السياب الذي يعد أول من طور هذا النظام العروضي، مضيفاً رموزاً أسطورية وصوراً طبيعية. يقول في قصيدته ذائعة الصيت (أنشودة المطر):

عَيْنَاكِ غَابَتَا نَخِيلٍ سَاعَةَ السَّحَرْ
أَوْ شُرْفَتَانِ رَاحَ يَنْأَى عَنْهُمَا القَمَرْ
عَيْنَاكِ حِينَ تَبْسُمَانِ تُورِقُ الكُرُومْ
وَتَرْقُصُ الأَضْوَاءُ ...كَالأَقْمَارِ في نَهَرْ

الى ان يقول:

مَطَر ...مَطَر...مَطَر...

وقد تبعهما عبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور وأدونيس ونزار قباني ومحمود درويش وغيرهم، فأصبح شعر التفعيلة نظاماً شعرياً مستقلاً، يُدرَّس في الجامعات الى جانب الشعر العمودي. إذ ان هذا الإيقاع الجديد أتاح للشعراء التعبير عن موضوعاتهم بطريقة لم تكن ممكنة في البحور القديمة.

كما لا بد أن نذكر ان هناك قلة من الشعراء المعاصرين تجرأوا على اختراع تفعيلات جديدة كما فعل أدونيس من خلال بعض قصائده في (أغاني مهيار الدمشقي).

ومن المهم أن نذكر محاولة العلامة الشيخ الدكتور محمد صادق محمد الكرباسي (مؤلف دائرة المعارف الحسينية التي تجاوزت 700 مجلد حتى الآن) إحياء بحور الشعر المهملة والالتفات اليها؛ فقد طور نظاماً عروضياً جديداً سماه (هندسة العروض) وقد مكّنه هذا النظام من اشتقاش وابتكار مئات الأوزان الشعرية خارج البحور التقليدية التي وضعها الخليل.

وقد ابتكر الكرباسي خلال كتابه نظرية رياضية عروضية تسمح بتوليد أوزان لا نهائية تقريباً. وقد ذكر صراحة ذلك بأنه ابتكر أكثر من أربعمئة بحر من بحور الشعر العربي الجَديدة وقد استعمل هذه البحور بالفعل في شتى قصائده الشعرية المبثوثة في كتبه التي تزيد على الألفي عنوان ككتابي)الأغراض الشعرية) و(التفسير المنظوم) وغيرها.

كما أن هناك جهوداً حديثةً ومعاصرةً لإعادة إحياء هذه البحور المهملة، خاصة في عصر الإنترنت والفضاء الرقمي من بينها دراسات أكاديمية وبحوث ومؤلفات مثل كتاب (إحياء البحور المهملة) للدكتور محمد عبد المعيد خان، الذي قدّم فيه أمثلة شعرية جديدة في بحر المستطيل. وكذلك دراسات الدكتور علي الشعلان في العروض إذ استخدم المتواتر في قصائد معاصرة عن البيئة.وهناك مجلات مهمة مثل (مجلة العروض) التي تصدر في الأردن وتقوم بنشر قصائد تجريبية في البحور النادرة.

ولا ننسى المبادرات الشعرية والمهرجانات والمسابقات وما شابه؛ مثل مهرجان الشعر العربي في الشارقة الذي يشجع على استعمال البحور الشعرية المهملة مثل المستطيل؛ وقد فاز الشاعر العراقي كاظم السويدي بجائزة أفضل قصيدة على بحر المستطيل عام 2022. ولا ننسى الذكاء الاصطناعي الذي حلل وولّد قصائد في جميع البحور، بما فيها المستطيل، مع أمثلة صوتية عليها.اضافة لبعض قنوات اليوتيوب التعليمية مثل (عروض الخليل) التي يبلغ عدد المشتركين فيها أكثر من مائة ألف حتى عام 2024 وهي تقدم دروساً عملية مع تمارين في المتواتر. وأيضا هناك بعض ورش العمل عبر زووم في جامعات كالقاهرة وبيروت وغيرها تركزعلى إحياء العروض من خلال كتابات جماعية.

وفي الوقت الذي يرى فيه المجددون كسر التفعيلة على انه نصر على حصر الشعر العربي ببضعة أبحر فقط مدّعين انه نوع من الفقر الموسيقي رغم غنى العربية. يرى المحافظون ضرورة الحفاظ على الموروث الشعري الوزني والموسيقي وعدم كسر قاعدته التي كانت ولا تزال عمود الشعر بجميع تفعيلاته وأوزانه.

ونحن إذ نذكر هذا الأمر علينا أن نبين اننا كلما كتبنا على بحر مهمل، أثبتنا أن العربية لم تمت، وأنها قادرة على استيعاب إيقاعات لم تُستَخدم منذ ألف عام. وان البحور المهملة ليست »نادرة« فقط، بل و»مظلومة«. فهي في الحقيقة كنوز صوتية أُقصيت لأن الذائقة القبلية فضّلت الثقل على الخفة، والطول على السرعة، والهيبة على الرقة. لكن الشعر ليس جنديًا في معسكر التقاليد، فهو طائر يجب أن يحلّق بأجنحته كلها، فقد حان الوقت أن نُعيد للشعر العربي كل أجنحته.

ويعد إحياء بحور الشعر المهملة استثمارًا ثقافيًا وإبداعيًا عميقًا، يتجاوز مجرّد إنقاذ أوزان قديمة إلى إثراء اللغة والخيال العربي المعاصر. ففي عصر يغلب فيه شعر التفعيلة وقصيدة النثر، يُعيد إحياء هذه البحور توازنًا فنيًا يربط الماضي بالحاضر، ويمنح الشاعر أدوات إيقاعية دقيقة تُعبّر عن تعقيدات العصر دون التخلّي عن جماليات التراث. فهو يُحافظ على التنوّع اللغوي والإيقاعي للعربية. إذ انّ كل بحر يحمل طابعًا صوتيًا فريدًا: فالمتدارك يجري كالسيل المتدفّق، والمنسرح يتأرجح بخفّة، والخفيف يرقص برقّة. وان إهمالها يُفقر اللغة نغمياً، أما إحياؤها فيُعيد للشعر قدرته على محاكاة الطبيعة والنفس البشرية بدقّة، كما فعل المتنبي في الطويل أو البحتري في المتقارب. فالشعر العربي ليس مجرّد كلمات، بل موسيقى داخلية تُبنى على التفعيلات، وإحياء هذه البحور يُعيد هذه الموسيقى إلى الحياة.

كما يُتيح هذا الإحياء تجديد التعبير عن قضايا العصر. فالبحور المهملة ليست جامدة؛ إذ يمكن تشذيبها أو تهجينها مع الشعر الحرّ لتُعبّر عن الحداثة. حيث انّ هذا التجديد يُكسر رتابة الشعر الحرّ، ويُعطي الشاعر تحدّيًا فنيًا يُحفّز الإبداع، لا الركون إلى السهل. كما أنه يزيد الانتماء الثقافي ويُقاوم الاستلاب بزمن العولمة الذي نعيشه، وبذلك يُصبح الشعر العربي ببحوره المتنوّعة هويةً صوتيةً تُميّزنا عن الشعر الغربي الحرّ.

وفي الختام أدعو للاهتمام ببحور الشعر العربي وبالخصوص علم العروض وإدراج البحور المهملة في المناهج المدرسية وإنشاء مسابقات على وسائل التواصل الاجتماعي مع دمجها بالذكاء الاصطناعي لتوليد قصائد، ثم تعديلها بشرياً؛ إذ إنّ إحياء البحور المهملة ليس رجعية، بل ثورة فنية هادئة تُعيد للشعر العربي روحه الموسيقية، وتُتيح له منافسة الأشكال العالمية بأصالة لا تُضاهى. فالشعر إيقاعٌ يتجدّد مع كلّ عصر. ■

*أستاذ جامعي، باحث وأديب

في اطار احتفالية اسطوريه

تابعتها الملايين عبر الشاشات

افتتاح اضخم متحف اثري لحضارة واحده

تمثال رمسيس الثاني

لندن: أمين الغفاري*

حظى افتتاح المتحف المصري الأخير باهتمامات واسعه في انحاء كثيره من العالم،وشارك في الأفتتاح وفود رسميه بلغت 79 وفدا من دول مختلفه، كانت اطلالاتها تعطى حفل الافتتاح بريقا لافتا من مشاعر الأهتمام والتقدير. ولذلك تم وضع جدول زمنى يوفر الحدود الملائمه بين عمليات الفواصل الواجبه ونظم التواصل الحاكمه ، لمشاهدة تفاصيل هذا المتحف، من باب التنسيق، وتجنبا لتفاقم عملية الزحام ،والرغبه في مشاهدة المعروضات المختلفه ،والمتعدده داخل المتحف . خصص اليوم الأول للأفتتاح وهو السبت الأول من شهر نوفمبر2025 لأصحاب الجلالة والفخامة الملوك والرؤساء والزعماء وقادة الدول ،اليوم الثاني للأفتتاح الأحد الثاني من نوفمبر لكبار الشخصيات من الوفود الأجنبيه . اليوم الثالث للأفتتاح الأثنين الثالث من نوفمبر للصحفيين والاعلامين. اليوم الرابع للأفتتاح لأستقبال الجمهور. والسؤال هنا لماذا هذا الاهتمام بالمتاحف، وصرف الكثير من الأموال في تشييدها والأهتمام بها ،من حيث الصيانه والحراسه ،واضفاء الكثير من الوان التمجيد على مظاهرها وتشكيلاتها. والسؤال بمعنى آخر :لماذا تهتم الشعوب بالمتاحف، وتصرف عليها الى هذا الحد من البذخ، بما يكفل لها هذا القدر من الابهاروالأعجاب؟ علينا ان ندرك أن المتاحف تحتل اهتماما و مكانة خاصه في ذاكرة الشعوب، فهي تعطي بعض ملامح التاريخ، وتتجسد رؤى الخيال في التماثيل المرئية لأبطال تلك العهود المنصرمة والمختلفة في آن واحد ،لكي تراها رؤي العين ،وتكشف لك عن بعض الاهتمامات، لدى اجيال سابقه في جريان حركة التاريخ ،والآثار المصريه والفرعونيه تحديدا، تعطى نماذج من التشكيل المعماري ،في بناء المعابد وتشييد الأهرامات، وبراعة التحنيط ، في ذلك الزمن السحيق.

كما ان الآثارالفرعونيه على تعددها وثراء تشكيلاتها، تروي لك احداثا وحروبا مضت،وتعرض لك نماذج من صناعاتها و خاصة اسلحة جيوشها. وخلاصة كل ذلك أن تزايد اهتمام الشعوب بالمتاحف يعكس رغبتها في الحفاظ على تراثها الثقافي وزيادة فهمها للماضي ،وشغفها، بمتابعة حروبها ضد الغزاة، وتوحيد مصر بضم الشمال والجنوب في دولة واحده ،عبر تلك القرون. هذا الاهتمام يُعزز من الروابط المتعددة سواء كانت الاجتماعية أوالثقافية بين الأفراد،كما يُسهم في تطوير الهوية الوطنية وتنمية القطاعات الثقافية ومن ثم السياحية.

اطلاله على بعض المتاحف المصريه

اولى الخديوى عباس حلمي الثاني اهتماما ببناء المتاحف في مصر،وكانت بداية الفكره تعود الى عام 1895 حين فاز المعماري الفرنسي (مارسيل دورنيو) في المسابقه التي اجريت لبناء المتحف المصري في ميدان (الأسماعيليه) الذي تغير اسمه الى (ميدان التحرير) بعد قيام ثورة 23يوليو،وقد قام الخديوى بافتتاحه عام 1902.

ثم تعددت المتاحف، المتحف الاسلامي ثم المتحف القبطي واليوناني والروماني في مدينة الاسكندريه ،ولعلنا نعرف ان المناخ الثقافى في الاسكندريه كان يعرف باسم (الثقافة الموزاييك) اي المتعدده ،لوجود جاليات اجنبيه كثيرة في المدينه. كما انسحب ذلك التعدد الى مدن كثيرة خاصة الساحليه،وبعد معاهدة 1936 وتولي الملك فاروق عرش مصر،ومع تزايد دور الحركة الوطنيه، واشتعالها ،عرفت مصر الطريق الى اقامة المزيد من التماثيل للزعماء الوطنيين مثل مصطفي كامل وسعد زغلول ومحمد فريد واحمد ماهر. وبعد ثورة 23 يوليو ظهر تمثال احمد عرابي في المحافظة التي ولد بها في (الزقازيق) وطلعت حرب الذي اسس للأقتصاد المصري ،كما سمي ميدان باب الحديد (في محطة مصر) ميدان رمسيس، وقد تم نقل التمثال بعد ذلك الى مكان مؤقت ،قبل ان ينقل الى المتحف الكبير ،وهو يتصدر الآن مكانا متميزا في مدخل المتحف .

المتحف المصري الكبير

ذلك هو اسم المتحف الجديد (GEM) وهو يطل مباشرة على اهرامات الجيزة .وقد بدأت فكرة انشاء هذا المتحف على يد الوزير الفنان (فاروق حسني) وزير الثقافة في عهد الرئيس الراحل (حسني مبارك) وهو في الأساس فنان تشكيلي (رسام) وقبل ان يصبح وزيرا كان رئيسا لقصر الثقافة في منطقة الأنفوشي بالأسكندريه، ثم تعددت مواقعه الوظيفيه.

كما رشح لليونسكو، وقامت اسرائيل بشن حملة ضاريه ضده ،أزاء تصريح له حول امكانية عرض كتب اسرائيليه في معرض القاهره للكتاب فقال: «سأقوم بحرق تلك الكتب ان وجدت».

يقول فاروق حسني عام 1992 مرتفعه، ونتمكن من خلالها من النظر الى الأهرامات ،وكانت مساحتها (117) فدان ،وبعد ذلك اضفنا اليها قطعة أرض أخرى، وسألني الرئيس عن التمويل لهذا العمل، وقلت له: ان الأعمال الكبيره تجد دائما من يساندها) قال اذن على بركة الله ابدأ.

وصدر قرار رئيس الجمهوريه رقم (402) 1992 في شأن تخصيص الأراضى اللازمة لاقامة المتحف المصري الجديد وملحقاته الثقافيه.ثم تم الأتصال بالحكومة الأيطاليه، وتيسر الاتفاق معها على ان تقوم بتشكيل لجنة من الخبراء لعمل (دراسة جدوى)، وقد استغرقت اعمال هذه اللجنه نحو 4 سنوات بتكلفة قدرها 5 ملايين دولار، شملت دراسة شامله للأرض وكافة التغيرات والتقلبات بما فيها الزلازل.

ساهمت ايطاليا في هذه التكلفه. ثم تم الاتصال باليابان،وقد اسفر الاتصال عن تعاون وثيق ،بل أصبح تحقيق انجاز هذا المتحف احد رموز التعاون الثنائي بين مصر واليابان،حيث قدمت اليابان

الاعلان عن مسابقة دوليه لتصميم هذا المتحف الكبير

قام الرئيس الراحل حسني مبارك بوضع حجر الاساس يوم 4 فبراير 2002 بحضور جمع من المختصين والمسؤولين وقتها على رأسهم الوزير الفنان فاروق حسني وزير الثقافة والأمين العام للمجلس الأعلى للآثار جاب الله علي جاب الله.ثم اعلن بعد ذلك في مؤتمر صحفي عن مسابقه معماريه دوليه لتصميم هذا المتحف ليكون اكبر متحف للآثار المصريه في العالم ،وقد نظمت تلك المسابقه تحت رعاية (هيئة اليونسكو) وتقدم لها معماريون من 83 دوله بمشروعات بلغت 1557 مشروعا ،وشارك في التصميم الفائز من تلك المشروعات 14 مكتبا استشاريا من خمس دول مختلفة،واستغرقت دراسة المشروعات ثلاث سنوات بتكلفة بلغت مليوني دولار ثم بدأ التنفيذ على مراحل ثلاث،وانقسمت تلك المراحل الثلاث الى خطوات متعددة، تم فيها اعداد التصميمات

عرضت على الرئيس حسني مبارك اقامة هذا المتحف الكبير،لأن المتحف القديم لدينا في ميدان التحرير اصبح مكتظا بالتماثيل، وبه المئات منها وعرضت عليه منطقة بجانب الأهرام وقمنا بالزياره فعلا الى المنطقه وكان معنا المشير طنطاوي ،واتفقنا على منطقة كانت افضل من الاختيار الأول،لأنها من خلال (هيئة التعاون الدولي اليابانيه ويرمز لها بـ(جايكا - JICA) دعما ماليا على اساس قرضين بشروط ميسره للمساعدات الأنمائيه الرسميه بجانب التعاون الفني لدعم (مركز الترميم التابع للمتحف المصري الكبير) المعني بأعمال حفظ وترميم وتغليف ونقل القطع الأثرية.

الابتدائيه واشتملت غلى الدراسات الهندسيه والفنيه ،ثم الدراسات التفصيليه لجميع بنود وتفاصيل المتحف وعقد اختبارات الجوده المطلوبه على المواد والتصميم بالاضافة الى النظم المتوقع تطبيقها،و في شهر مارس 2016 تم إنهاء الاستعداد لنقل 778 قطعة أثرية من محافظة الأقصر إلى المتحف المصري الكبير وسط تأمينات وتشديدات أمنية مكثفة، وكذلك باستخدام وسائل حماية وتغليف متميزة طبقا للقواعد العالمية. وتعود القطع الأثرية لعصور مختلفة من الحضارة المصرية القديمة، وإن كان أغلبها يعود لعصر الدولة الحديثة، من بينها تمثال كبير للملك (أمنحتب الثالث) و(الإله حورس) من الجرانيت الوردي و يزن حوالى 4 طن والذي سيتم عرضه على الدرج العظيم بالمتحف بالإضافة إلى عدد من قطع الفخار ومجموعة من التوابيت. وفي شهر سبيتمبر من نفس العام تم نقل 525 قطعه اثرية من المتحف المصري بالتحريرالى المتحف الكبير ومن ضمن تلك القطع 367 قطعه من مقتنيات الملك توت عنخ امون تمهيدا لعرضها ضمن مجموعته المقرر نقلها بالكامل الى المتحف الكبير عند الافتتاح الجزئي للمتحف عام 2018،كما تم نقل مركب (خوفو) الثانيه،وكذلك تمثال رمسيس الثاني من مكانه المؤقت،بعد نقله من ميدان رمسيس ،حيث تصدر مكانه في البهو الرئيسي بالمتحف الكبير،كما نقلت مركب خوفو الثانية.

سمات المتحف وتشكيله ونفقاته

مضت قوة الدفع لتحقيق هذا العمل الملحمي الكبير، عبر سنوات، شاركت في انجازه العديد من المؤسسات والشركات »

الرئيس عبدالفتاح السيسي في صوره جماعيه مع اسرة الاحتفال

العالميه ،كما قامت الشركات المصريه بدور بالغ الاهميه ،وكان من ابرزها شركة (أوراسكوم للأنشاء والصناعه)، و(الهيئة الهندسية للقوات المسلحه)، وبعض رجال الاعمال من خلال مؤسساتهم. وايضا (شركة المقاولون العرب) وقد تخصصت في نقل القطع الأثريه الضخمه الى المتحف، ومنها تمثال رمسيس الثاني وتبلغ حمولته 85 طنا قطعه واحده.

- راعى تصميم المتحف ان يتضمن من داخله مركزاً هاماً لأعمال الصيانه والترميم ويقع ذلك المركز على مساحة 32 الف متر وهو موجود تحت سطح الأرض بمقدار 10 متر تقريبا ،وتم انشاء نفق مابين مركز الترميم والمتحف يتم من خلاله نقل الأثار بشكل آمن بطول 300 متر تقريبا ،وبه معامل متعددة للخزف والزجاج والمعادن والأخشاب والأحجار والميكرسكوب الألكتروني وغير ذلك .

- يتم تقديم الأرشادات داخل المتحف بثلاث لغات العربيه والانجليزيه والهيروغليفية

- دخل في دائرة التخطيط انشاء 20 محل تجاري و8 مطاعم في المنطقة الاستثماريه داخل حرم المتحف بالأضافة الى فندق يسع 30 غرفة ،وهو يقع بعيدا عن الجزء المتحفي المغطي وعن الآثار.

التمويل

قامت عدة جهات بتمويل المتحف كان ابرزها قرضين بشكل ميسر من وكالة (جايكا) اليابانيه الأول في 2006 بقيمة 280 مليون دولار والثاني في 2016 بقيمة 460 مليون دولار، ثم 150مليون دولار من التبرعات والمساهمات المحلية والدوليه بالأضافة الى 100مليون دولار تمويل من الحكومة المصريه، ويبلغ الرقم النهائي لتمويل المتحف 1،2 مليار دولار

كم من الوقت تستغرق الزياره؟

حتى يمكن الاستفاده من الزياره ينبغي ان يخصص لها وقت مناسب يتراوح من اربع الى ست ساعات وهذا يمنحك وقتًا كافيًا لمشاهدة صالات عرض توت عنخ آمون، والتماثيل الضخمه، والمعارض المختلفة والمؤقتة بوتيرة مريحة.

اسعار الدخول

للكبار 350 جنيها - لكبار السن 175 - للاطفال 175 - للطلاب 175 وللاجانب للكبار 1450 - وللصغار 730 جنيها.

من كلمات الافتتاح

قال الرئيس السيسي : ان المتحف المصري الكبير صورة مجسمه، تنم عن مسيرة شعب سكن ارض النيل منذ فجر التاريخ فكان ولا يزال الانسان المصري:دؤوبا صبورا كبيرا بناءً للحضارات صائغا للمجد معتزا بوطنه حاملا راية المعرفة ورسولا دائما للسلام وظلت مصر على امتداد الزمان واحة للأستقرار،وبوتقة للثقافات المتنوعه وراعية للتراث الانساني .

وتحدث الوزير الفنان فاروق حسني الذي بدأ المشروع وتحمس له،وسهر عليه الليال الطوال . قال

عشت انتظر تحقيق هذا الحلم بافتتاح هذا المتحف الكبير،واليوم وانا اراه حقيقة واقعه ،أشعر ان هذه الحقيقه اجمل من الحلم الذي عشته في خيالي ،ولا استطيع ان استطرد دون ان اذكر بكل الوان التقدير والشكر والامتنان لكل الرجال الذي عملوا على تحقيق هذا الأمل سنوات وسنوات، حتى تجسد هذا الامل الى واقع نراه .

برنامج الافتتاح

احتوى برنامج الافتتاح بعد كلمة الرئيس كلمات اخرى من بعض المسؤولين ،كذلك من ممثلي بعض الشركات التي قامت بالتنفيذ،كما تضمن البرنامج بعض الأعمال الفنيه شاركت فيه مجموعة من الفنانين فقدموا بعض الاستعراضات التي تعبر عن تلك المرحلة التاريخيه وماتركته من كنوز فنيه

شارك الفنانون هدى المفتي وأحمد مالك وسلمى أبو ضيف وأحمد غزي، مساء اليوم، في فعاليات افتتاح ـ المتحف المصري الكبير، من خلال عروض فنية مميزة تحمل عنوان (اصطفاف) وذلك ضمن الفقرات ـ الفنية المرافقة للحفل العالمي ،وكان اختتام الحفل باعمال فنيه قدمتها السوبرانو فاطمه سعيد وشيرين احمد كاعمال اوبراليه

واخيراً

ان المحافظة على التراث ،وكما نراه من خلال هذا المتحف، وقد تجسد في الكثير من التماثيل والرسوم والأواني والكثير من الاشكال سواء كانت من ادوات الحرب ،او ادوات الاستعمال البشريه كما تعيش المجتمعات،لكن تكمن الأهمية في معرفة التاريخ وشكل الحياة وطبيعة التطور ،ومن لا تاريخ له، لا يمكن ان يكون له مستقبل يرنو اليه بتفاؤل و استبشار. ■

*كاتب وصحافي مصري

ليندا نصار*

الموسيقى الجسر الخفي بين الإنسان والكون

إلى أي مدى يمكن اعتبار الموسيقى مجرّد ترف فني؟ وكيف يمكن للحن صغير أن يحاكي فكرنا أو أن يحرك مشاعرنا؟ وماذا عن الإنسان وتفاعله مع الموسيقى عبر الزمان؟

أسئلة كثيرة قد تخطر في أذهاننا لتقودنا إلى ما هو أعمق، قد نفكر هنا في ماهية الموسيقى، اللغة التي تعطي من ذاتها والتي تتقن الولوج إلى عمق الوجود الإنساني. لعل الموسيقى رحلة غريبة تمارس أسرارها لتجمّل الجوهر، فتحافظ على روح العالم.

لا يخفى ما للموسيقى من أهمية في محاكاة القدرات الذهنية والعاطفية، وما تحدثه من أثر عميق في النفس البشرية. لقد رأى أفلاطون أنّ "الإيقاع والتناغم يجدان طريقهما إلى أعماق الروح"، فالموسيقى في نظره انسجام بين الجسد والروح، واتزان كونيّ يحفظ توازن الإنسان الداخلي.

ومنذ فجر التاريخ، عرف الإنسان الموسيقى في رحم الطبيعة الأم، التي وهبته رنينها من صوت البحر والمطر إلى هسيس الرياح وحفيف الأشجار. في تلك الأصوات الأولى وُلد الحسّ الموسيقي، فتعلّق بها الإنسان وعدّها جزءًا من كيانه، باتت الموسيقى ترافق الإنسان في أفراحه وأتراحه، وتواسيه في وحدته، حتى أصبحت علاجًا لكل ما يعانيه من حزن وكآبة.

ومع تطوّر الفكر الإنساني، ارتبطت الموسيقى بأسئلة الحداثة، فكانت جسرًا أنقذ الإنسان من السقوط في هاوية اللامعنى. رأى الفلاسفة فيها جوهر الوجود، واتخذت الفنون عمومًا، والموسيقى خصوصًا، دورًا في ترقية الإنسان الذي أنهكته الصراعات، فجمّلت رؤيته للعالم ولذاته، وربطت بينه وبين الكون في انسجام عميق.

كذلك تمثل الموسيقى مرآة لتاريخ الشعوب وثقافتها وتحولاتها السياسية والاجتماعية ومنذ عصر التنوير، ازداد دور الفنّ، بل صار أساسيًا في ترسيخ خطاب التسامح، إذ وجدت البشرية في الموسيقى أداة للتحرر من سطوة الألم، وصارت لغة للتعبير عن الذات وعن الآخر في آنٍ واحد. فالموسيقى تُعيد إلى الإنسان توازنه الداخلي، وتعلّمه الإصغاء إلى نبض الحياة من حوله، وتحثّه على التعايش والسلام.

وللموسيقى تأثير إيجابي في السلوك الإنساني؛ فهي تحاكي الفكر، وتساعد على الاسترخاء وضبط النفس في أوقات الغضب، وتدفع إلى التصرف بحكمة لتجاوز العقبات. كما أن لها أثرًا تربويًا واضحًا، إذ تساهم في تنشيط الدماغ وتنظيم التفكير وتناسق الأفكار، فتُنمّي الخيال، وتُقوّي الذاكرة، وتوسّع القدرة على الاستيعاب. إنها رياضة عقلية وروحية في آن واحد.

وبعد ممارسة التأمل أو تمارين الاسترخاء، تتحوّل الموسيقى إلى علاج ممتع يبثّ الذبذبات الإيجابية، فيُغيّر الحالة النفسية تغيّرًا جذريًا، فيتابع الإنسان حياته بعيدًا عن النظرة السوداوية، وتغمره روح التفاؤل والطمأنينة.

بالإضافة إلى ذلك، الموسيقى هي اللحن الذي لا يحتاج إلى من يعلن عنه، فهي صوت الطبيعة الأول الذي تناغم مع حزن الإنسان وفرحه، ومع كل ما يختلج في داخله من مشاعر. إنها اللغة التي اخترعتها الطبيعة لتخاطب بها قلوبنا قبل عقولنا. ولعلّها أداة السلام التي يحتاج إليها الإنسان لتتم مصالحته مع نفسه قبل أن يصالح الآخر. فالموسيقى، بما تحمله من سموّ، تعزّز القيم النبيلة، وتفتح أمام الروح أبواب التسامح والمحبة.

ناهيك عن ذلك، تعدّ الموسيقى لغة الشعوب وقد أسهمت في التبادل الحضاري وحوار الثقافات، عبر نغماتها وتوزيعها حتى من دون فهم الكلمات... كذلك استطاعت الموسيقى الوطنية أن تحرك ثورات وأن ترافق الانقلابات إلى حد أنها اتّخذت بعض الأغاني هوية خاصة وذاكرة تاريخية جماعيّة خلّدت محطّات انتقالية...

وفي بعدها الروحي، كانت الموسيقى لغة الأنبياء في تطلعهم نحو السماء، فهي الانسجام بين الإنسان وخالقه، وبين الروح والكون. حمل النبي داود القيثارة، وهتف لإلهه بالصنوج وبالمزامير ودعا الشعوب إلى التمثل به، وفي ذلك دلالة على أن الموسيقى عبادة للقلب قبل أن تكون عزفًا بالأوتار.

الموسيقى، كما قال فرنتز ليست، "لغة عالمية لفهم العواطف"، وقد رأى كورت فونيجت: "الفن هو الطريقة الوحيدة التي تجعل روحك تنمو وتزدهر". وذهب جبران خليل جبران إلى وصفها بأنها "جسم من الهشاشة له روح من النفس وعقل من القلب". إنها في جوهرها تعبير عن الحب، والروح التي تتجلى في رقص الأوتار وانسجامها، حيث يضرب كل وتر الآخر حبًا به، فتولد من هذا العناق ألحان الكون.

والموسيقى، بقدرتها على تهذيب النفس، تزرع في القلب الصفاء، وتبعده عن الضغينة والكره والحقد. وليس هذا تزيينًا للعالم بالكلمات، بل تجربة حقيقية يشعر بها كل من استسلم لوقع الموسيقى في لحظات الغضب أو الاضطراب؛ فهي قادرة على تحويل العاصفة إلى سكون.

وقد كانت الموسيقى منذ القدم موضع تأمل الفلاسفة؛ ففيثاغورس ربطها بإيقاع الكون في نظريته عن "موسيقى الأفلاك"، ورأى أن للأجرام السماوية تناغمًا يشبه الألحان. أما روسو فقد اعتبرها محاكاة للطبيعة ومذهبًا جماليًا يعكس صفاءها، فيما تعامل بيتهوفن معها على أنها الوسيلة التي تُوصل الإنسان إلى عالمٍ أرفع، عالمٍ ينتصر فيه الصوت على المادة وتتحرر فيه الروح من حدود الجسد.

هناك عناصر عدة تظهر ارتباط الأدب بالموسيقى، فقد كان الشعر عند العرب مصحوبًا بالآلات الموسيقية وكانت مجالس الغناء كثيرة عندهم. وفي الموسيقى وحي الشعراء حيث أنها تؤدي تأثيرها في النفس البشرية فتخلد القصيدة في نفوس مستمعيها.

وهكذا تبقى الموسيقى صدى الكون وهديته للإنسان الحالم بحياة يسودها السلام. إنها لغة تتجاوز الكلمات، وتغوص في أعماق الكيان الإنساني، فتكشف خباياه، وتوحّد بين الفكر والعاطفة، بين الإنسان والطبيعة، وبين الروح والسماء. ■

*كاتبة، شاعرة وناقدة

فائق حميصي وحيداً بالإيماء

رحلة صعبة في غير المرغوب فيه

بيروت ـ عبيدو باشا*

لـحـركـات، لا الأصوات. ثمة قدر كبير من الطرق في المسرح ، غير أن الإيماء وإن لم يظهر كشكل ضعيف لدى المسرحيين، ظهر كما لو أنه نتيجة تحدد العلاقة بالمسرح خارجياً ، لا من خلال تداول المؤدي لـحظاته . كل لحظة ترتبط بفكرة القفز فوق المسافات إلى ملامح الشخصية، مجموع ملامح الشخصية في شخصية المؤدي. مقتضى الأمر الواقع، أولاً. ثم، فن يتطور. لا حدوث مختلف إلا من محاولات أبراز ملامح الوجه من خلال دهنه باللون الأبيض ورسم الشفتين عريضتين باللون الأحمر. أو اللون الأسود. هناك شيء يـجـري انجازه . لكنه، غير مفهوم حتى لدى العاملين في الفضاء المسرحي. الـوجـه وجـه مـهـرج . لا مخطوطة للتهريج في عروض الإيماء. يظهر التهريج خفيفاً من المزيج الجديد للملامح. كأن لا ثمة جمالاً تلقائياً. كأن ثمة تصويراً للأداء، لا أداء. وحده فائق حميصي اندفع في اعتقاده إلى درجة تقديم المفهوم على ما هو عليه بعد أعوام من التقديم اللامتساوي مع فنون المسرح الأخرى . ذلك أن أن الإيماء بقي صيغة غير مقبولة لدى الجمهور العريض، المسرحيون من هذا الجمهور، بحيث وجد حميصي يقدم احداثاً لا علاقة لها لا بما قبل المسرح ولا بما بعده. فن الوقت اللامناسب. هكذا، جاء الأمر.

عند فايق حميصي ، هذه طريقته في فعل الأشياء. استمرّ على هذا الأمر وحيداً، متتبعاً تقاليد الإيماء أولاً. بعدها، مبتعداً عنها، حتى احداث هذا الفن في عمليات ما بعد التدريب، إثر رحلة صعبة في «غير المرغوب فيه» بالعموم. وحيداً، وحيداً، قدم الرجل الطرق الموضحة لفن الإيماء. ثم خرج من عناء المحاولة إلى تطوير الفن هذا، بالمعنى المهم، بالمعنى المفهومي، بإخراج الكامن فيه. ثم بخروجه على نتائجه المحددة إلى الملامح المختارة من من لم يتوقف عن ممارسة البحوث والتدريب، بمقتضاه لا بمقتضى الأمر الواقع ،قافزاً من حالات التحفيز إلى حالات لا تحدث في عمليات التدريب وحدها. هكذا، وجد حميصي، هكذا أوجد فناً يرتبط بشكل متماسك بالأكاديميات وبالأوساط الشعبية كفن مثالي، الهم مؤدين آخرين، لن يلبثوا أن انضموا إلى المشهد بالإعداد والوجود والتقديم.

مغامرة حميصي مغامرة خرجت إلى الفعل من رد الفعل، خرجت على الفروق، بدأب رجل نحيل حين استكمل تفسير الفن، بات فيه لا كما يبيت الطائر في عشه ، كما يبيت القلق في قلقه .

انجز حميصي نوعاً لا تنويعة. نوع موجود في العالم ، لن ينوجد في لبنان . أحد العرضين. عرض الإيماء عرض، عرض المسرح عرض، ولو جاءا من بيت واحد في المغزى والهدف، لا في النشأة . انعكس الأمر على شخصيته ، بحيث أضحى لا يهتم بتقسيم الكلام حتى على الأصدقاء. وجد في التقييم الكامل للصمت. وجد في طريقة عروضه. وجد صامتا دوماً. سوف يلاحظ من لا حظ ما لاحظه الآخر . إذن، لا هدر في الكلام حتى في النوايا مع حميصي المعتاد على تحقيق صيغ الآداء في التلفزيون والمسرح. بالتلفزيون، الكلام على خلفية. بالمسرح الإيمائي لا كلام ولا مؤثرات في المراحل الأولى. قادر على الكلام في التلفزيون، قادر على النقاش.

أبكم في الإيماء. لن يروي قصة إلا بجسده ولو فضل جل العرب الكلام على الصمت، منذ ألف ليلة وليلة وما قبلها . عدم الكلام فتح، فتوح، إنجاز، في مساحة ممكنة، حولها الرجل إلى مجال. فهم من دون كلام . فهم من استجابة الطرفين، المؤدي والجمهور . جمهور قليل. جمهور ميزته القلة. بعدها، أصحى في مفهوم الفعل بالصمت. الإيماء مجال مثير ، بعيداً من الكلام على المنجزات في الشرق والغرب. إظهار لا تظاهر. لا أفخاخ العولمة ولا الحداثة ولا التحديث. حين فهم المشاهدون ما حدث، حدث أن العولمة، لم تحدث بصورة بحيث تتيح للعرب المساهمة في صناعة الأحداث. لأنها بقيت بعيدة من عمق أفعالهم. الموقف ببساطة، ما ساهم العرب منذ الأندلس سوى في اشهار حبهم وتعلقهم بالفضيلة ، الفضائل ، حيث لا تجوز صيغ الجمع إلا بجمع الفضيلة إلى فضائل. حين أن بنك من طلب من دون أن يوضح أن يجوز تعبيره بالتعبير، لا بالكلام. ذلك أنه لم يفكر سوى بالخروج من تراب الكلام ، مآزقه، عناصره . واحدة من المآزق حوسبة الإنتاج وعقلنة الإدارة وكوننة الهوية .

لا الوقوف أمام العولمة الثقافية. ذلك أن مارسيل مارسو ملهمه في الأوقات الأولى، وجد كساحر بعقلية السحرة في مرحلة ما قبل العولمة. لم يلعن حميصي المسرح الناطق ولم يرجمه، لم يأخذ عليه البطء بالدخول في التطورات الحضارية. ذهب مباشرة إلى التعامل مع ما وجده سنته. الإستاذ في الجامعة، يتكلم في الحياة، لا يتكلم على خشبة المسرح. اعترف بأنني حين وجدت نفسي في مجالات وجوده في الجامعة اللبنانية/ معهد الفنون الجميلة/ الفرع الأول، ما وجدت نفسي في طغيان هذا الفن على أستاذ الأيماء . أستاذ يدعو إلى وضع اليدين في الهواء لكي تظهر اليدان زجاجاً. أو أن تشد اليدان حبلاً بلا وجود . بإسم الحق ، لا شيء من ما قدمه لطلاب الفنون حدد اجزاء من مفاهيمي ومعاييري المسرحية. لا شيء سوى العجز أمام ما يقصده هذا الرجل المطروش الوجه. رجل يرتدي قمصيه المخطط وسالوبيته، حتى يتيح لنفسه أن يمارس حيويته الفكرية من موضوعه النادر ، ومن امتلاك القدرة الدائمة على الجديد ، جديده . والخارق ، خارقه . لكنه ، كلما اندفع أشبع غريب الفن من المعالجة ما راح يجعله مألوفاً . لا بل حديثاً مسرحياً بلا مثلبة .

اذن، نسق من انساق الثقافة في المعيار الخلقي ، من عقل سياسي وجد في الصمت بلوغ درجات البوح القصوى. لزم الأمر شجاعة، اقدام، مساهمات ، خروج على الشيفرات ، من الوقوف في الصمت وحده، إلى الإستعانة بأهل الحقيقة فيه حين راح ينقد المسلمات والثوابت حد العمل كما يعمل الفكر الصامت في صمت المسرح. صمت يريح لأنه لا يذكر بأخطاء الغير في ترداد الكلام. من المعاملة مع مارسو إلى الرؤية مع لي كوك إلى المعالجة مع فائق حميصي . لم أرَ عرض «فدعوس في المدينة» . يحكى عنه الكثير. ألا أنه أضعف من قوة فائق حميصي في الإيماء . أضعف من قوته في أعماله الإيمائية مع نفسه لا مع موريس معلوف. أعمال تلغيم الإيماء بالتأويل الخاص. أولاً، استيعاب الجسد العربي كجسد رحب لا يُعرَّف، حين يجري على المسرح كما يجري النمل في الدم .

انتقل الرجل عندها من اللعب ، من اللعبة، إلى صناعة اللعبة . جسد قادر على الفعل والإنجاز من منطق تحويلي يقوم على حساسية الجسد العربي في فضاء استراتيجي / عملاني. إيماء ٢٨، ٣٨، بقي في فهمه وتشخيصه ودون هذا الفهم والتشخيص في الآن ذاته. لأنه وقف على ثنائية التفسير والتغيير. التفسير اقل من التغيير بكثير. لم تعد المسألة أن نغير العالم بعد أن كثر الإشتغال بفهمه وتشخيصه، ولا في تفسيره بعد محاولات تغييره. ذلك أن صاحب الإنتاج صاحب نظرية. اذن ، إلى ثلاثة على خشبة الإيماء. هذه مرحلة . لا أدلوجات طوباوية مع دخول المهمش في نطاق المعقول. عروض الأيدي. عروض المفهوم. لا المعاش. لأنها لا تزال تحتاج إلى الوقت حتى تحمل إلى عقلانية مفهومة لأن الجديد يبقى غير مفهوم حتى يخرج من محاولاته التوليدية إلى مجالات ضبطه الشامل وعقلنته الكلية . بقيت المحاولة ناقصة، تنقص الزمن لا الثقافة ولا مطابقة الهدف من خلال عقلية التخمين أولاً . ثم، التضمين . ثم ، الوجود الفعلي ، الفاعل. الأهم أن حميصي فتح سوقاً تبادلية بين الشرق والغرب حين دفع أعماله إلى الإنخراط في ورشاته الفكرية، لكي يظهر أن الثقافة العربية لم تبتعد عن الإيماء مع الكرجيين والصفاعنة والسماجة. وجد في اجزاء من أشعب الكندي اجزاء من أيماء أيقوني، ما دفع الكلام إلى كلام على منحى آخر ، لا المراوحة أمام المعطيات الإيمائية كأصنام في بلاد الفرنجة . عند هذا الرجل لا إمبريالية ثقافية، لأنه لا يهاب الغرب، لا يهاب عوائق التجديد والإبداع . ما احتاجه ولم يعط له هو الوقت . لأن الوقت قضية اقتصادية .

وجدت نفسي في نزهة ريفية مع استاذي في المعهد يعقوب الشدراوي وفائق حميصي. لعب حميصي مشهداً صامتاً مع عايده صبرا. لعبت مشاهد كادت تصل إلى فوضى الكلام . بقي الرجل في أصله في المسرحية المتكلمة . يبقى دوماً كذلك، حتى إذا التقينا لا يتكلم مالا يستدعي اعادة النظر لديه. ما يستدعي النميمة من من وجدوه وكلموه ووجدوه غارقاً في الصمت .■

*كاتب ومسرحي لبناني

فايق حميصي وقناع الإيماء

الإيمائي على خشبة المسرح

عرض تخرشيش من المغرب

... وآخر من عرض «غرق»

من عرض نون الأردني

المهرجان الدولي للنساء المخرجات «جسد» والحلم المشترك

احتفاء بمخرجات المسرح ومقاومة التهميش والتمييز

المغرب ـ سعيدة شريف*

عرفت الدورة الثالثة من المهرجان الدولي للنساء المخرجات "جسد" احتفاء كبيرا بالنساء المخرجات في مجال المسرح، نساء كرسن حياتهن لأبي الفنون ككاتبات ومخرجات وممثلات، وقضين خمسين سنة من عمرهن فوق الركح في مقاومة كبيرة للتهميش والتمييز، وسعي حثيث من أجل إعادة الاعتبار لعملهن المسرحي وللفن بشكل عام، وتحقيق الحلم المشترك بتحرير الأجساد والأرواح والتطلع للحرية والسلام والإسهام في تغيير المجتمعات.

فعلى مدى خمسة أيام (من 17 إلى 21 أكتوبر/ تشرين الأول)، عاش جمهور العاصمة المغربية الرباط، على وقع الدورة الثالثة من هذا المهرجان المسرحي النسائي المتميز المنظم من طرف فرقة "مسرح الأكواريوم"، الذي تمكن رغم قلة الإمكانيات والظروف العامة الصعبة في مختلف البلدان العربية من مواصلة العمل ورفع شعار "الجسد والتحدي"، وذلك لأن رئيسة المهرجان والمسؤولة عن الفرقة المخرجة المغربية نعيمة زيطان وفريق عملها، لا يؤمنون بالاستسلام، ويعملون باستمرار على رفع كل التحديات والمقاومة عبر الفن المسرحي، حيث تمكنوا من تقديم 12 عرضا مسرحيا من عشر دول هي: إسبانيا، الأردن، رومانيا، تونس، العراق، فرنسا، إيطاليا، لبنان، فلسطين، والمغرب، وتحصيص لقاء مفتوح مع النساء المخرجات المشاركات في المهرجان، وندوة فكرية حول "الكتابة المسرحية النسائية"، وماستر كلاس من تأطير المخرجة اللبنانية لينا أبيض لفائدة طلبة المعهد العالي للمسرح والتنشيط الثقافي بالرباط حول المسرح والقضايا المجتمعية، وتكريم مجموعة من المخرجات المسرحيات اللواتي تمكن من حفر أسمائهن في مجال الإخراج المسرحي في العالم العربي والغربي، وتقديم تجارب مسرحية متفردة تنتصر للحب والحياة ولقيم الحرية والإنسانية، وذلك في مبادرة اعتراف من المهرجان الدولي للنساء المخرجات «جسد» بجيل كامل من النساء، كما تقول نعيمة زيطان، جيل من «النساء المبدعات اللواتي فتحن أبوابا ونوافذ جديدة في الفن والفكر، وهو دعوة للاستمرار في الحلم بمسرح حر يعطي الكلمة للنساء والرجال معا، يضمد الجروح ويصوغ المعاناة جمالا قادرا على تغيير المجتمعات».

تكريم المخرجات

«جسد» في دورته الثالثة تكريم المخرجة المسرحية اللبنانية لينا أبيض، التي واكبت هذا المهرجان منذ بدايته، باعتبارها سيدة المسرح بامتياز، جعلت من الخشبة بيتا للحقيقة، ومن الجسد جسرا بين الفن والحياة، وكانت مسيرتها عنوانا للالتزام والمسؤولية في التعبير عن آلام الناس وأحلامهم، مادام الفن بالنسبة إليها ضرورة وليس ترفا. أخرجت لينا أبيض أكثر من ثلاثين عملا مسرحيا من ضمنها «صار وقت الحكي»، و«هيدا مش فيلم مصري»، و«ألاقي زيك فين يا علي»، و«شاي مع باسكوت على باب السجن» الحائزة على جائزة «ميلون» من قبل الجامعة الأميركية في بيروت عام 2011، و«الديكتاتور»، التي حازت من خلالها على جائزة الدكتور سلطان بن محمد القاسمي كأفضل عمل مسرحي للعام 2013.

وإلى جانب لينا أبيض تم تكريم المخرجة المسرحية والأكاديمية الأردنية مجد القصص في ختام المهرجان إلى جانب المخرجة والكاتبة الرومانية ومحركة الدمى أديلا مولدوفان، وذلك لكونهما وهبتا خمسين سنة من عمرهما لخشبة المسرح، وقدمتا الكثير من الأعمال المسرحية وضحيتا من أجل فرض أنفسهما كل في بلدها.

فالمخرجة الأردنية ذات الأصول الفلسطينية والأستاذة الجامعية الحاصلة على الدكتوراه في الفن وعلوم الفن من الجامعة اللبنانية عام 2014، علامة فارقة ورائدة في المسرح الأردني فهي أول امرأة مخرجة في مجال المسرح في هذا البلد، شكلت على مدى خمسة عقود نموذجا فريدا للمرأة الأردنية الطليعية والممثلة الاستثنائية والمخرجة الصلبة والملتزمة، التي جعلت من المسرح بوابة للتعبير عن القضايا المجتمعية التي تؤرقها، وتوجيه رسالة فنية راقية، لأنها بكل بساطة تؤمن ومن زمان بأن المسرح هو المتنفس الحقيقي، حيث قالت في يوم تكريمها بالمغرب : "لن أتوب عن المسرح وسأظل أشتغل وأتنفس مسرحا".

لم تكن بداياتها سهلة ولا طريقها معبدا، فقد كابدت المخرجة مجْد القصص من أجل تحقيق ما تصبو إليه كممثلة ومخرجة وكأستاذة جامعية، حيث يعود لها الفضل في تربية العديد من الأجيال المسرحية بالأردن. لديها خبرة فنية طويلة في مجالات متعددة، منها 75 عملا مسرحيا و37 عملا تلفزيونيا وأربعة أفلام سينمائية، بدأت كممثلة مع الأخوين عاصي ومنصور الرحباني في مسرحياتهما قبل أن تنتقل إلى الإخراج المسرحي. من بين أعمالها المسرحية: "ماكبث"، و"قلادة الدم"، و"النافذة"، و"بوابة

ملصق المهرجان

5" التي حصلت على جائزة الدولة للإبداع وأفضل عمل متكامل في مهرجان المسرح الحر، و"الحب في زمن الحرب"، و"أوركسترا"، و"قالب كيك" التي توجت من خلالها بجائزة أفضل مخرجة، ناهيك عن العديد من الجوائز التي حازتها والتي تقدر بأكثر من 46 جائزة وتكريمهم ما بين ممثلة ومخرجة.

والفنانة الرومانية أديلا مولدوفان مخرجة متميزة في مسرح العرائس، تلقت تدريبا مكثفا في تحريك الدمى ما بين 1976 و1980، واشتغلت كمحركة دمى في مسرح «أراد» للدمى. أسست فرقتها الخاصة عام 1991، وشاركت في مهرجان مسرح الدمى العالمي في شارلفيل ـ ميزيير. كما أخرجت عرض «أخوات أليس» من تأليف جاكلين سارازين، بالتعاون مع دار الثقافة في سانت إتيان والمركز الثقافي «لاريكاماري» بفرنسا. ومن بين أعمالها: «دو ري مي»، و«أجمل رقصة» و"الفزاعة".

حصلت المخرجة أديلا مولدوفان على جوائز عديدة في رومانيا وفي بلدان أخرى، وشاركت في مجموعة من المهرجانات العالمية للمسرح ومسرح الدمى.

الكتابة النسائية

بعد تخصيص مهرجان «جسد» في دورتيه السابقتين ندوتين لموضوعي الإخراج والسينوغرافيا، أفرد ندوة الدورة الثالثة لموضوع الكتابة المسرحية المقدمة بأقلام نسائية وعلاقتها بالمجتمع والجمهور، وهي أحد العناصر المهمة في العملية المسرحية شأنها شأن الإخراج، تأخذ فيها المرأة الكلمة لتقدم مقاربات لقضايا مجتمعية تسكنها بخصوصيات معينة.

وقد شكلت الندوة فرصة للوقوف على حضور المرأة في الكتابة المسرحية في العالم العربي، حيث رأت الدكتورة نوال بنبراهيم الباحثة المغربية المتخصصة في المسرح أن حضور المرأة في الكتابة المسرحية بالمغرب محدود جدا، ولكن هناك أسماء أكدت وجودها بتناولها لقضايا المرأة والمجتمع، وساهمت بأسلوبها الخاص في إغناء الخزانة المسرحية المغربية، من مثل: ليلى الهواري، فاطمة شبشوب، الزهرة إبراهيم، فاطمة هوري، ورفقة أمزدي، خديجة زروال، وفاطمة الزهراء لهويتر وأخريات.

ومن جهتها وقفت الدكتورة فوزية لبيض، الأستاذة الجامعية والناقدة الفنية المغربية، على الكتابة النسائية للمسرح عالميا، ووقفت عند بعض التجارب، وخلصت إلى أن المخرجات في المسرح أكثر من الكاتبات، وأن كتاباتهن تركز على البعد الجنسوي أكثر من البعد الفلسفي والفكري. فيما ركزت الباحثة سندس بنحلام، الإطار بالمجلس الوطني لحقوق الإنسان، على الدور الفعال للمسرح في التعبير عن القضايا الإنسانية والحقوقية، والنهوض بالمجتمعات وبحقوق الأفراد، وسلطت الضوء على الأهمية التي يوليها المجلس الوطني للحقوق الإنسان للمسرح والفنون بشكل عام، لأنه يؤمن بالدور الأساسي للثقافة والفنون في تحقيق الديمقراطية، ويرى في المسرح، حسب تعبير المسرحي المغربي الطيب الصديقي، ضرورة مجتمعية وليس ترفا. وأشارت إلى أن المسرح أداة مثلى للتعريف بحقوق الإنسان وتقريبها إلى المواطن العادي.

وانطلاقا من تجارب شخصية مع الكتابة المسرحية، ذكرت المخرجة والكتابة الرومانية أديلا مولدوفان التي تمنح روحا للعرائس والدمى على خشبة المسرح، أنها تسعى دائما في كتابتها للمسرح إلى مخاطبة الروح حتى يظل العرض عالقا في ذهن المتفرج، ومن جهتها تحدثت المخرجة المغربية نعيمة زيطان عن علاقتها بالنص المسرحي، الذي تعيد الاشتغال عليه وتختبره على خشبة المسرح، وتهتم باللغة التي يقدم بها العمل بشكل كبير. وأشارت زيطان إلى أن هناك فرقا بين كتابة الرجل للمسرح وكتابة المرأة، ولكن الكتابة بشكل عام تحتاج إلى الكثير من الصبر والحرية.

أما المخرجة اللبنانية لينا أبيض فذكرت أن الأهم هو أن تحكي المرأة قصتها وأن تكتب، لأن هذا

الصوت يجب أن يسمع، و«صوت المرأة حين يكتب يحدث الأثر ويغير النظرة».

عروض استثنائية

على مدى خمسة أيام شاهد جمهور العاصمة المغربية الرباط 12 عرضا مسرحيا عربيا وأجنبيا، حيث افتتح المهرجان بالعرض المسرحي المغربي الجديد «تخرشيش» للمخرجة مريم الزعيمي في ثاني تجربة إخراجية لها مع فرقة «المسرحيين المتحدين للثقافة والفنون» بعد مسرحية «فوضى» التي توجت العام الماضي بالجائزة الكبرى للمهرجان الوطني للمسرح الاحترافي بتطوان، وهو عرض يسلط الضوء على موضوع حساس يتمثل في العنف الجنسي وزنا المحارم، المسكوت عنه. ليتلوه في الغد العرض المسرحي الأردني "نون" للمخرجة مجد القصص، وهو دراما موسيقية راقصة، وثمرة تعاون بين المخرجة والكاتبة الأردنية سميحة خريس، حيث تعيد المسرحية تخيل مسرحيتين يونانيتين قديمتين: «برلمان النساء» و«ليسستراتا»، لمعالجة صراعات المرأة العربية المعاصرة مع الحرب والحب والوطن والموت، وذلك من خلال كوميديا سوداء تقتحم فيها مجموعة من النساء البرلمان الذي يهيمن عليه الرجال احتجاجا على الحرب والفساد وتهميش المرأة وحقوقها.

ومن إسبانيا قدمت المخرجة الشابة كلارا رامو مسرحية «بنات وليام» التي تجمع ثلاث بطلات شهيرات من مسرحيات شكسبير: أوفيليا، جوليت، والسيدة ماكبيث، وتجعلهن يلتقين في الحياة الآخرة، ولا شيء حولهن يشير إلى ما إذا كن في الجنة أم في النار، حيث يقررن تقاسم الظروف المصيرية التي دفعتهن إلى الانتحار. وبين الفكاهة والوجع، والصدق والتحدي، يرسم العرض مشهدا مسرحيا قويا حول حرية المرأة، وحقها في إعادة كتابة مصيرها بطريقتها الخاصة. ومن تونس، قدمت المخرجة دليلة المفتاحي عرضها المسرحي "البوابة 52"، الذي تكرم فيه النساء التونسيات المقاومات في وجه الاستعمار، اللواتي ناضلن من أجل نيل حريتهن وحقوقهن، حيث تسلط المسرحية الضوء على جزء من تاريخ تونس المرتبط بمشاركة النساء في حركات التحرير عام 1952. ومن فرنسا قدمت المخرجة المسرحية والكاتبة ألكسندرا باديا مسرحيتها "التي تنتظر العالم"، التي تسلط الضوء على مشكل الهجرة ومعاناة المهاجرين غير النظاميين، من خلال قصة مراهقة تعيش في شمال فرنسا، ويتقاطع مسارها مع مهاجر آخر قاصر، منعزل، ويعيش في وضعية إدارية صعبة، فتتطور الأحداث بينهما في سياق مجتمعي معقد. تميز العرض برؤيته الشاعرية التي تجمع بين الجسد والكلمة، حيث تتحول نظرة المرأة فيه إلى فعل مقاومة وتأمل في هذا العالم عير المنصف.

وإلى جانب هذه العروض، قدمت المخرجة والكاتبة الرومانية أديلا مولدوفان مسرحية "استراحة"، وهي عرض حالم تستبدل فيه

جانب من الندوة حول الكتابة النسائية في المسرح

تكريم المخرجة الأردنية مجد القصص

تكريم المخرجة اللبنانية لينا أبيض

المخرجة الممثلين بالدمى لتروي قصة لقاء غير متوقع بين مهرج عجوز وفتاة شابة. إنه عرض يلامس الصمت والجمال، صاخب بالعواطف، يرسم مشاهد من الوحدة، الحنين، والإنسانية، وذلك بأسلوب بصري بديع، وبتقنيات دقيقة في تحريك الدمى..

ومن المغرب قدمت المخرجة نعيمة زيطان مسرحيتها "الدالية"، وهو عرض يسائل معنى الحب والصداقة والأسرة والفن من خلال حكايات متفرقة تتصل بشخصياتها وفضاءاتها، ويستكشف بعض الروابط التي تجمعها والمعضلات التي تعترضها. وقدمت المخرجة الشابة حنان العلام، خريجة المعهد العالي للمسرح والتنشيط الثقافي، عمل تخرجها "غرق"، الذي يغوص في أعماق الذاكرة الفردية والجماعية، وتستحضر فيه المخرجة الجراح القديمة وتعيد طرح أسئلة الهوية، الصدمة، والنجاة، عبر لغة مسرحية تمزج بين الصورة، الجسد، والموسيقى. ومن جهتها قدمت خريجة المعهد نفسه، المخرجة الشابة آية جبران عرضها المسرحي «الخادمتان»، وهو عمل مكثف يلامس ثنائية الخوف والرغبة، وينبش في صراعات السلطة والغيرة والهوية، عبر أداء تمثيلي قوي وإخراج يتسم بالجرأة والدقة.

وفي عمل مسرحي مشترك بين المغرب وفرنسا، قدمت المخرجتان فاطم العياشي وكليمونص لاباتو عملهما «عند التقاطعات»، تطرحان فيه سؤال العائلة كفضاء مزدوج: جذور ننتمي إليها، ومصدر انطلاق نحو القطيعة والتحرر. وهو عرض يمزج بين الجسد والكلمة والذاكرة بالعاطفة، عبر حس جمالي وصدق إنساني، ومقاربة فنية جريئة تحاور العلاقات العائلية وتعيد التفكير في معنى الانتماء والحرية.

ولأن المهرجان الدولي للنساء المخرجات «جسد» يرفع شعار التقاسم وليس التنافس، فقد أبعد منظموه الجوائز عنه، وأفسحوا المجال للنقاش وتبادل الخبرات والتجارب بين المخرجات من مشارب ومدارس وأجيال مختلفة، وجعلوا منه موعدا قارا في كل دورة، حيث تقاسمت فيه المخرجات المسرحيات في هذه الدورة الثالثة تجاربهن في الإخراج المسرحي والكتابة، والتحديات التي واجهتهن في مسارهن المسرحي وأحلامهن وطموحاتهن، وناقشن سبل التعاون وإطلاق مشاريع مشتركة بعد المهرجان، وهو ما ثمنته المخرجة نعيمة زيطان رئيسة المهرجان، التي عبرت عن أملها في أن يتحقق هذا الحلم ويتم تجاوز الصعاب المادية التي تكاد تعصف بمقر جمعية "الأكواريوم" منظمة هذا المهرجان ومحتضن هذا النقاش. ■

*إعلامية وكاتبة من المغرب

تتكسّر اللوحة ويبقى الجدار

محمد علي فرحات

نحن الديكتاتور
مرة كل خمسين عاماً، نغادر خيمة الديكتاتور.
ليس بعيداً، ولوقت محدود، ثم نعود،
يتبدل الديكتاتور ولا نتبدل،
لأننا نحن الديكتاتور.
والمخدة واحدة على سريرنا، حيث تتزاحم الأحلام مثل ورق خريف، لا تكنسه الريح.
لكن الديكتاتور صورته على الشرفة
يحيينا، لا يرانا،
يرى نفسه في كتب التاريخ.
فماذا عنه في غرفة الطعام، في غرف النوم؟
كيف يحب امرأة واحدة، امرأتين أو أكثر، وما ملكت أيمانه؟
كيف يتزوج رجل تؤلهه الجموع؟ يبني المساجد والكنائس ويؤلّهونه.
محوِّلين المعابد الى متاحف.
مرة كل خمسين عاماً، ننصب خيمة للديكتاتور، معبودنا، ثم نستيقظ لوهلة وحيدة. ندفع آلاف القتلى ودماراً بلا حدود، لنستبدل ديكتاتوراً بديكتاتور.
نحن ثوار الدائرة
نعود الى نقطة البدء
ولا نربح سوى التعب.
بحر
البحر من النافذة الصغيرة، قريب، أكثر قرباً، ظننته لوحة حتى لفحني هواء الملح فانتبهت.
نطل على البحر، غالباً من مقهى، من مطعم.
لا طاولة للمتأمل، وحيداً بلا ورق، مثل يتيم ضيعته مراكب الأهل.
كتابة
يقتطف ثأره من كتاب قديم، غير آبه،
ويدفع خصمه عند الحافة فيهويان.
لا هدأة قبل الكلام أو استعارة الكلام.
تنفر الحروف مثل رماح أو رصاص، حروف مستعارة من تراث.
أكان صاحب المخطوط يتوقع فتيلاً لمتفجرة، حين كان يكتب في ضوء قنديل شاحب؟
نافذة الخالة
منتصف الليل والماء في الحفرة والقمر على الماء
هدوء
ووقع خطواتي في الطريق إلى القرية المجاورة، حيث بيت الخالة.
أول طيش الشباب وعثرات الحصى واهتزاز القلب من أصوات بنات آوى، من صرصار الحقل وقد استفاق فجأة على صبح موهوم.
منتصف الليل أول التمرد والقمر الشاهد
الحب الموعود هناك أطلّ عليه من نافذة الخالة.
تلال
الجدران من حجر الكدان
لتقيَنا هجمة الصيف
ونأنس برطوبتها البيضاء.
هذي أرضنا الكلسية
للتين والزيتون، وصلاة تتبدل لغات وطقوساً.
تتغير ألوان البيارق
ونبقى فوق تلال تطل على البحر،
نرى مراكب حملت أحباباً لم يعودوا
وأضواء غامضة
نفسرها بأرواح عائدة أو بأساطيل أعداء.
والزمن فوق تلالنا يعبر مثل غيم،
ليحملنا، فرداً فرداً، في مواعيد مفاجئة.
أسرعوا... الشمس على وشك الغياب فأسرعوا، قبل أن يبتلعكم الليل بلا أمل.
لأن النهار الأخير يفقد أنواره الأخيرة في أفق البحر أو عند قمم الجبال، أسرعوا لأن شمس الغد مختلفة، فهي ضجرت من تعميم الضياء على غير المستحقين.
كيف لضوء أن يجد معناه في غور بئر أو غور عينين أو غور خيال؟
مثل هذا الضوء يستحق التلاشي.
أسرعوا الى كهوفكم لاجئين الى الأبد، لأن الجموع الفتية، من أول الشرق الى آخر الغرب، تحمل عالياً شعلة لغتها وتوزع أنوارها بالعدل.
داخل السور وخارجه
هذا الغبش من ضباب أو دخان. يستوي أن تغرق أو تذوب.
أستهدي بأضلاع البوابة الحديد لألجأ داخل السور وأهنأ في حدود أليفة. وقد أتسلق السور ملاحظاً المدى هناك، حركة مثل قرني وعل، مثل طفل طافر في البراري، مثل كلب يقعي أو يتعجل محركاً ذيله من خشية أو فرح.
لا بد من موسيقى توضح هذا الضباب. لا النور يسعف ولا الظلام يعفي من لعبة غامضة.
واقفاً خلف السور أراهم في المدى الواسع وأندم لولوجي أضلاع البوابة. لو أنني بقيت هناك، راسماً مدناً بألف باب لألف امرأة.
يا أمي خارج السور وأنا الضائع ابنك الوحيد.
معجزة تتكرر
يكتبون بلا أفق فيبتكرون أفقهم الداخلي.
وحين ترتج الأرض يقيمون من الكلمات أرضاً،
من عمق التاريخ ومن رجاء ما سيأتي.
الكتّاب العرب في المشرق جزر في الماء أو صخور تعصى على الزلزال. هم الأمل الباقي لإنساننا الباقي.
لو كانوا في مكان آخر لغادروه.
لو كتبوا بلغة أخرى لاستبدلوها.
انهم معجزة تتكرر.
عواصف
العواصف الأولى تأخرت. يكفي ما في نفوسنا، نحن الذين نتصادم في حيز ضيق، أما المدى كله، فلعواصف الطبيعة، انحناء الأشجار واختباء الطير ودفء الحب في أمكنة حميمة.
في العواصف الأولى نتلهى بمتطلبات الإنسان البدائي، الدفء والغذاء. هنيئاً لذلك البدائي، نقول، نحن المرشحين للتشرد.
وهم المنفى
حتى البحر لا يذيب أسماءنا.
الأسماء حصوات لا يحركها الموج حين يضرب الشاطئ ويتراجع.
لا هجرة للحصى.
سيبقى اسمك وشماً في الروح ووجهك طالعاً من مهد اللغة، ولن تسعد في المنفى سعادة الذوبان. ■

المخرج الفلسطيني أمير فخر الدين

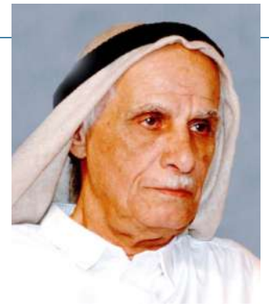

الشاعر الراحل سلطان بن علي العويس

المطربه الأوبراليه فاطمه سعيد

فيلم (يونان) للمخرج الفلسطيني أمير فخر الدين يفوز بجائزة في مهرجان الجونة

■ فاز فيلم (يونان) للمخرج الفلسطيني (أمير فخر الدين) بجائزة النقاد العرب للأفلام الأوروبية في مهرجان الجونه السينمائي ،في دورته الأخيره ،وسط حضور كبير من صناع السينما والنقاد العرب والأجانب.يعد ذلك الفيلم هو العمل السينمائي الثاني للمخرج امير فخرالدين.تم انتاج الفيلم في اطار التعاون المشترك بين كل من السعوديه وقطر والاردن وفلسطين وايطاليا وكندا وألمانيا. كما انه ثمرة للتعاون المشترك بين مركز السينما العربيه والمؤسسة الاوروبيه للترويج للفن السينمائي، والهدف من انتاج هذا الفيلم هو تسليط الأضواء على الأفلام الأوروبيه ذات التميز الخاص،كما يراها النقاد العرب. لم يحضر المخرج عرض الفيلم، ولذلك ارسل كلمة مسجله اذيعت خلال الحفل ألأخيرقال فيها (انني اعبرعن خالص امتناني وتقديري للجنة التحكيم ومركز السينما العربيه على هذه الجائزة ،فهو تكريم اعتز به للغاية، وان يقوم النقاد العرب باحتضان هذا الفيلم (يونان).أنه أمر مؤثر جداً بالنسبة لي. ربما يعني هذا أن الفيلم قد وجد طريقه إلى موطنه أخيرا).

وتسلمت الجائزة نيابة عنه المنتجة الألمانية دوروثي باينماير، التي تحدثت عن التجربة قائلة: «يونان هو الفيلم الثاني لأمير فخر الدين، وكفيلمه الأول الغريب، فهو عمل بطيء الإيقاع، صامت، وحزين. حكاياته لا تصرح لكنها تُروى بشاعرية تلامس القلب. أفلامه تجعلني أتأمل وأعيد التفكير فيما أراه، وفي كل مرة أشاهدها أكتشف زاوية جديدة من المعنى. أمير فخر الدين روح عجوز في جسد شاب، وأنا أتطلع بشغف لإنتاج فيلمه الثالث.

مؤسسة (سلطان بن علي العويس الثقافية) تكرم الفائزين بجائزتها

■ قامت مؤسسة (سلطان بن علي العويس الثقافيه) بتكريم الفائزين بجائزتها في الدورة (19) من خلال حفل اقيم في (دبي) وحضره عشرات الأدباء والمثقفين والأعلاميين العرب ،ويعد ذلك الاحتفال هو الاكبر من نوعه على مستوى الجوائز الثقافيه،حيث يتم تكريم المبدعين من خلاله الذين حصلوا على تلك الجائزة في قطاعات وميادين مختلفه. جدير بالذكر ان المؤسسه سبق وان اعلنت في مطلع يونيو (حزيران) الماضي عن الفائزين في هذه الدورة (19) لهذا العام (2025) وهم الشاعر العراقي حميد سعيد (الشعر) والروائيه العراقيه انعام كجه جي (القصه والرواية والمسرحيه) والناقد المغربي الدكتور حميد الحمداني (الدراسات الأدبيه والنقديه) والمؤرخ التونسي الدكتور عبدالجليل التميمي (الدراسات الأنسانيه والمستقبليه) .تحتل هذه الدورة اهمية خاصه كونها تتزامن مع مئوية الشاعر (سلطان بن علي العويس) ،وقد جرى رفع قيمة الجائزة لكل من حصل على الفوز الى 150 الف دولار.

كما تم من جانب آخر خلال هذا العام تنفيذ الكثير من الأنشطه الثقافيه المرتبطه باسم الشاعر الراحل (سلطان بن علي العويس . (2000 -1925) رحم الله هذا الشاعر الكبير الذي كانت له اسهاماته المتعددة، وتهدف جوائز العويس الثقافية إلى تكريم المبدعين الذين حصلوا عليها في مختلف الحقول الثقافية والعلمية، وتُسهم في تشجيع الإبداع والابتكار في العالم العربي، وتعزيز دور الثقافة في التنمية والتقدم

امسيه ثقافيه حول الدراما النفسيه في روايات جمال حسان

■ اقام المركز الثقافي المصريه امسية ثقافيه يوم الجمعه 24 اكتوبر حول (الدراما النفسيه في روايات جمال حسان) استضاف فيها الدكتور عدنان احمد ود. هنا سايمان .تميزت الندوه بحضور عدد كبير من ابناء الجاليه العربيه ،على تعدد جنسياتهم، كما يعكس في نفس الوقت مكانة الروائيه الكبيره. بدأت الندوة بكلمة من مديرة المركز الثقافي،حيث قدمت الموضوع ،وأهمية طرحه ومناقشته، والعلاقة التي تربط الروائيه بعلم النفس،وهي احدى اساتذته كتخصص،واحدى بطلاته باعتبار الممارسة كطبيبه وانعكاساته على حركة ابطال رواياتها ،واطلالاتها على شخصياتهم من الداخل كأديبه روائيه. كانت الندوة ناجحه من حيث الطرح والحوار،وان كانت قد افتقدت الوقت الكافي للحوار مع جمهور القاعة.

المطربة الأوبراليه فاطمة سعيد تحيي حفلا عبر الحان عبد الوهاب في لندن

■ كان الموسيقار الراحل محمد عبدالوهاب ضيف حفل تكريم اقامته جمعية الجاليه المصريه عام 1988 في حضوره بقيادة الراحل احمد الجندى على خشبة مسرح (ألبرت هول) في لندن ،وقد غنى العديد من المطربين المصريين العديد من الحانه ،وقدم الحفل مجموعة من الفنانين ابرزهم محمود ياسين وحسين فهمي وهذا العام يقام حفل آخر لكن بعد رحيله ،وبعد مضي ما يربو على (27 عاما) من الحفل السابق، لكن على مسرح مختلف وهو مسرح (دروري لين) الملكي في امسية اوركستراليه استثنائيه بقيادة المايسترو المصري (نادر عباسي) وبصوت السوبرانو المصريه (فاطمه سعيد) بمصاحبة الأوركسترا الملكيه الفيلهارموني، وبذلك يعود الموسيقار الخالد عبدالوهاب ليطل علينا من جديد في اوروبا ، ومن خلال صوت اوبرالي والحان لم تتوار، رغم مرور عشرات السنين..

غنت فاطمة سعيد خلال الحفل مختارات من روائع (عبدالوهاب) للعالم مثل (لأ مش انا اللي ابكي) و(كان أجمل يوم)، فى صياغة أوركسترالية جديدة تجمع بين 52 عازفا من الموسيقى الكلاسيكية وخمسة عازفين على آلات شرقية، لخلق جسر موسيقى بين الشرق والغرب. يقول عمر خليل حفيد الموسيقار الراحل: (الحلم كان أن يسمع الأوروبيون بآذانهم موسيقاه وبلغتهم الموسيقية، دون أن تفقد هويتها.

الهيئة
اصدار معلومات:
كلمة السر: فؤاد سليمان.
٤- «الكوميديا الالهية».
٥- ٥١ كلم تقريبا.
٦- من البيض الى السمار (مثل الفتاة العربية)
٧- (مرحا) فيلم سينما سورية والمرأة صحراوية.
٨- ام كلثوم.
٩- ٨٧ سنة (ولد سنة ١٨٧٨ وتوفي سنة ١٩٧٥).

واحة الحصاد

اختبر معلوماتك

اختر الجواب الصحيح

١ـ الرأي قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهي المحل الثاني
هذا البيت المشهور هو للشاعر:
بشار بن برد ـ لأبي تمّام ـ أم للمتنبي؟

٢ـ مطربة عربية راحلة. عندما غنت في تونس احاطوها على المسرح بـ٢٨٠ ألف زهرة قرنفل».
انها: اسمهان ـ ام كلثوم ـ ام فتحية احمد؟

٣ـ الاديب والشاعر الفرنسي الشهير «فيكتور هيجو» كم سنة عاش؟ ٧٣ ـ ٨٣ ـ ام ٩٣ سنة؟

٤ـ ما اسم الملحمة التي وصف فيها الشاعر الايطالي «دانتي» رحلة وهمية قام بها مع عشيقته «بياتريس» في العالم الاخر؟
«الكوميديا الالهية» ام «الفردوس المفقود»؟

٥ـالنعامة لا تطير ولكنها تعدو بسرعة. اما معدل سرعتها في الساعة فهو:
٤٥ كلم ـ ٥٥ كلم ـ ام ٦٥ كلم؟

٦ـ كيف تكتب اللغة الفارسية؟ من اليمين الى اليسار؟ ام من اليسار الى اليمين؟

٧ـ ما هو الاسم الدخيل بين هذه الاسماء؟
درعا ـ دمنهور ـ طنطا ـ المنصورة؟

بريشة: حسين حمّود

أقوال

■ من نصب نفسه للناس اماما، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم ..... **الامام علي**

■ لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدنيء فيجترئ عليك. **سعيد بن العاص الأموي**

■ اذا صحبت فاصحب من ينسى معروفه عندك..... **الفضل بن غسان**

■ كل شيء اذا كثر رخص إلاّ العقل فانه اذا كثر غلا..... **حكيم**

■ ان التعصب أفعى بل اشد أذى، فكيف نفتح للافعى حنايانا ..... **زكي قنصل**

■ لما وجدت أنني أسود، صممت على ان أعيش كما لو كنت ابيض، وأرغم الناس بهذه الطريقة على صرف النظر عن لون بشرتي ..... **الكسندر دوماس**

■ أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وعفا عن قدرة، وانصف عن قوة .....**عبد الملك بن مروان**

نوادر

● كتاب توصية ●

■ روى الاديب العربي الشهير «الجاحظ» هذه النادرة فقال:

سألني احدهم كتابا بتوصية الى صديق لي. فكتبت له رقعة قلت فيها: «كتابي اليك مع من لا أعرفه ولا أوجب حقه، فان قضيت حاجته لم احمدك، وان رددته لم اذمك».

فرجع الرجل الي. فقلت له: «كأنك قرأت الرقعة؟» قال: «نعم» قلت: «لا يضيرك ما فيها فانه علامة لي اذا اردت العناية بشخص».

فقال: «قطع الله يديك ورجليك ولعنك».

قلت له: «ما هذا؟» قال: «هذه علامة لي اذا اردت ان اشكر احدا».

● حافظ ابراهيم والبخيل ●

■ كان للشاعر حافظ ابراهيم صديق شديد البخل على الرغم من ثروته الكبيرة، فلما زاره حافظ ذات يوم، وجده واجماً حزينا، فسأله عما به، فاجابه الصديق البخيل: «اشار الطبيب عليّ بضرورة اجراء عملية جراحية تكلفني خمسين جنيها، والا فان مصيري الموت. فما رأيك؟»

فأجابه حافظ: «أرى ان توفر الخمسين جنيهاً...!»

● من اقوال الظرفاء●

☐ قال احدهم: «العجيب هو ان الصيادين الذين يروون اجمل حكايات الصيد ومبلغ تفوقهم، هم اولئك الذين يصطادون بمفردهم!»

☐ وقال ثان: «اذا قلنا شيئا للرجل دخل احدى اذنيه وخرج من الاخرى، ولكن اذا قلنا شيئاً للمرأة، فانه يدخل الاذنين ويخرج من الفم!»

☐ وقال ثالثا: «نعم اريد الزواج من عجوز في عنقها ذهب، وفي اصبعها ماس، وفي جيبها مهر أدفعه لفتاة اخرى!»

● تشرشل والسياسة ●

■ سئل تشرشل يوما عن المؤهلات التي يراها ضرورية لسياسي ناشئ. فدمدم قائلا: «انها القدرة على التنبوء بما سيحدث في المستقبل».

وبعد ان سكت للحظات اضاف: «ومن ثم القدرة على تفسير اسباب عدم تحقق النبوّات اذا لم تحصل..!»

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	ازالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايية والمنتجات الطبيعية. كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)
Open 12pm to 9pm to Sundays
107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS
0207 373 4445
www.blisslife.co.uk
gloucesterroad@blisslife.co.uk

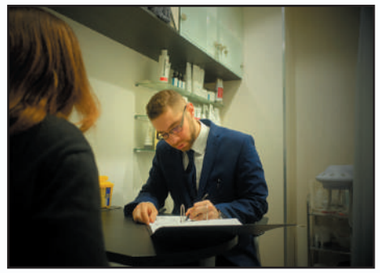

مفهوم القيمة لدى المواطن... بين الثراء والحسب والنسب والجهد والعمل

يكتبها
أمين الغفاري*

نتوقف احيانا امام بعض المفاهيم،التي نصادفها في حياتنا ،ونمعن فيها النظر، بالكثير من التأمل والتفكير، لاسيما وان كانت لها اصداء في الماضي، نستخلص منها الدروس والعبر من صفحات التاريخ، وحول تلك المفاهيم تتعدد الكثير من القصص والحكايات ،وحكايتنا اليوم ترجع في وقائعها الى عام 1904. في ذلك العام نتعرف على واحد من مشاهير تلك الفترة،وهو الشيخ على يوسف، وهو رئيس تحرير جريدة شهيرة تاريخيا (المؤيد) ،وكان أحد مؤسسيها ،وكان هذا الشيخ يرجع في اصوله الى اسرة فقيره،ولكنه واصل دراسته في الأزهر طمعا في ان يكون من الفقهاء، أو رجال الأزهر، ولكنه احترف الصحافة وتألق في سمائها.

وكان قد تزوج في بداياته من فتاة فقيرة اسمها (ريحانه)، ولما كبر،وأصبح من الوجهاء، تاقت نفسه الى الزواج مرة أخرى من فتاة جميله ومن أسرة غنية، ووقعت عيناه في احدى المناسبات على (صفيه) ابنة الشيخ السادات، وهو احد مشايخ الطرق الصوفيه، وينحدر من أسرة ذات ثراء وحسب ونسب وعراقه، فتقدم لخطبتها،ووافق الأب ،بعد جهد بذله الكثير من الوسطاء، ولكنه ماطل في اتمام الزواج، مما ازعج العروسين فاتفقا عبر مراسلات كانت تجري بينهما، عبر خادمه اوروربيه، على عقد قرانهما في منزل أسرة صديقه تتعاطف معهما، وهي اسرة الشيخ البكري وكانت تقطن في منطقة (الخرنفش). انتقلت العروس الى بيت الزوجيه، وكانت صدمة الشيخ السادات شديده، وهو يقرأ في جريدة (المقطم) نبأ زواج ابنته، فلجأ الى القضاء بغرض التفريق بين الزوجين لعدم التكافؤ اجتماعيا، فالفوارق بين الأسرتين شاسعه.

سواء في الحسب والنسب او الثروة او الحرفه، وهي الجرائد التي يعمل بها الشيخ علي يوسف وهي (أحقر الحرف وهي عار وشنار عليه) واحيلت القضية الى محكمة قاضيها اسمه (الشيخ ابو خطوة) وتحددت لنظرها جلسة يوم 25 يوليو 1904. تناولت الصحف تلك القضية، وانقسم الرأي العام حولها بين مؤيد للشيخ السادات، ومؤيد للشيخ على يوسف، والكثير منهم من المثقفين فضلا عن انصاره السياسيين وعلى رأسهم الخديوي عباس حلمي الثاني.كثرت الجلسات وتعددت المناظرات مما تضيق به هذه الصفحة، وان كان يعنينا منطوق الحكم الذي صدر في هذه القضية من القاضى وهو الشيخ (أبو خطوة) بعد اعتكافه خمسة عشر يوما للأعداد لهذا الحكم ،ومحاولات الخديوى والحكومة للتأثير على الحكم بحيث يكون لصالح الشيخ على يوسف، ولكن الشيخ ابو خطوه كان شديد الأعتزاز برأيه واستقلاله عن اي تأثير، ولذلك جاء حكمه بفسخ عقد الزواج والتفرقه بين الزوجين ، ورأي ان ثراء على يوسف الحالي لايمحو عنه تلك الوصمه أنه كان فقيرا ذات يوم ،وقال في حكمه بالحرف الواحد (ان فقره في بدئه وان زال عنه الأن باكتساب الغنى، الا ان عاره لا يزول عنه). في محكمة الأستئناف عقب المحامي على تلك العباره قائلا:اين هي النصوص التي تقول ان الفقر السابق يبقى عارا على صاحبه مهما نال بعد ذلك من غنى ومال وجاه؟ ان القائل بذلك يريد ان يسجل الانحطاط على الجنس البشري كله لان الاصل في الانسان الفقر، والغنى طارئ عليه واساس الغنى الجد والعمل ،الى آخر المرافعه. لكن المثير في الأمر ان حكم الأستئناف جاء مؤيدا للحكم الأول. وهو التفرقه بناء على عدم التكافؤ بين الأسرتين .

لم يتوقف الزمن عند تلك الواقعه التي تفصح عن معايير التقدير والمكانه بين الثراء والحسب والنسب وبين المثابره في الجهد والعمل .اتذكر في برنامج كان يقدمه وائل الابراشي وعمرو خفاجى في الثمانينات من القرن الماضي على احدى الفضائيات المصرية الخاصه أنهم تلقوا مكالمه من مشارك في الراي من الولايات المتحده، وقال في تعريفه انا فلان مهندس في احدى الشركات الامريكيه، وقد حصلت على شهادتي الجامعيه من مصر،بعد ان اصدر عبدالناصر قراره بأن التعليم الجامعي مجانا ،اذ ان أبي كان يعمل (كناسا) ويكنس الشوارع في القاهره، وقد تعجبون انني اذكر ذلك بعد ان اصبح لي وضعٌ اجتماعيٌ متميّزٌ، واقول ان ابى كان)كناسا) ذلك (ان الفقر في عهد عبدالناصر كان احد مقاييس الشرف) نعم حركة الزمن تدور.. وتدور وتتباين معها حركة المقاييس والأحكام لقيمة البشر ،والانسان في بعض الأحيان يصبح هو اول ضحايا حركة هذا الدوران.

*كاتب وصحافي مصري

Back cover Jordan.pdf 17/6/04 09:58 Page 1

Luxury amid Desert Sunsets and Ancient Civilizations

With 281 impeccably furnished guest rooms and suites that boast high speed internet, global satellite TV and individually controlled AC system, Le Royal Amman offers luxurious award-winning service and standards, complemented by 9 intercontinental dining experiences. There are 34 suites and a Royal Spa over 7000 square meters, where guests experience outstanding levels of comfort and superior services. Rich carpeting, opulent fittings and warm rays of natural light characterize the magnificent banqueting hall at Le Royal Amman. The ballroom with its royal balcony is the city's largest premier venue with a capacity of 1800 guests.

Luxembourg | Luxembourg

Beirut | Lebanon

Hammamet | Tunisia

Sharm El Sheikh | Egypt

El Minzah | Morocco

Villa de France | Morocco

www.leroyal.com